مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية المجلد الثالث والعشرون، العدد الثاني، 127–173 يونيو2015
IUGJHR ISSN 2410-3179

(إذا) الفجائية في القرآن الكريم
"استعمالاً ودلالة"

د. يوسف جمعة عاشور[1،*]

[1]قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، قطاع غزة، فلسطين

تاريخ الإرسال (2015/02/22)، تاريخ قبول النشر (2015/03/31)

الملخص

قام هذا البحث بدراسة (إذا الفجائية) في القرآن الكريم – استعمالاً ودلالة– وهي أداة ضمن أدوات متعددة المعاني: فمنها الظرفية المتضمنة معنى الشرط، و(إذا) التفسيرية و(إذا) الاسمية غير الظرفية و(إذا) التي بمعنى(إذ) في إفادتها للزمن الماضي، و(إذا) الفجائية التي حظيت بدراسات متفرقة لعلماء: لغويين كانوا أو نحويين وعليه فقد وقف هذا البحث على مسائل عدة منها: معنى (إذا الفجائية) وتصنيفها من بين الكلمات، وتركيب جملتها، وعملها، كلّ ذلك من خلال دراسة إحصائية لمواضع (إذا الفجائية) في القرآن الكريم، مع الإشارة لأقوال المفسرين والمعربين التي يظهرها هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: إذا الفجائية، القرآن الكريم.

The Use and the Significance of IF in Quran

Abstract

This study focuses on the use and the significance of the (Abrupt IF) in the Holy Quran. This entails several usages such as the adverbial, the interpretive, the no nominal one. The study focuses on the abrupt use of if in terms of its meaning, classification and its syntactic structure with in the sentence. All of this has been conducted through statistical study of the different positions of using if in the Holy Quran, in addition to its different interpretations of different scholars.

Keywords: Abrupt IF, The Holy Quran.

* البريد الالكتروني للباحث المرسل: yjashour@iugaza.edu.ps

المقدمة:

تعددت معاني (إذا) في اللغة العربية فمنها الظرفية المتضمنة معنى الشرط ويطلق عليها أحياناً بـــ(إذا) الزمانية و(إذا) التفسيرية و(إذا) الاسمية غير الظرفية وهي المجرورة بحتى، و(إذا) التي بمعنى (إذ) في إفادتها للزمن الماضي، و(إذا) التي للحال وهي التي تقع بعد القسم كثيراً، و(إذا) الفجائية، ولما كانت (إذا) عاملة وهاملة وبهذا الكم الهائل وتشغل حيزاً من القرآن، وأنها تحتاج إلى وقفات طويلة ومتأنية، أحببت قصر الحديث على نوع واحد من أنواعها ألا وهو (إذا) الفجائية؛ لما لها من معانٍ متعددة، ودلالات متجددة، وأغراض مفيدة تتعلق بهذه الأداة التي تتنوع استخداماتها اللغوية.

ولما كان البحث النحوي من خلال النص القرآني لهو من قبيل التعبد الذي أمرنا الله به، وكان القرآن بمثابة المصفاة للغات العرب، وقد أظهره الله لغة قرآنه، موحدة للسان أهلها ثمّ أظهر العربية على لغات البشر كلها جمعاء، وددنا أن يكون بحثنا لـــ(إذا الفجائية) في القرآن؛ لما فيه من روائع البيان، وسرائر الإعجاز، وهذه حقيقة الأَوْلى ألّا تغيب عن أعين الباحثين والدارسين، فالنحو العربي نشأ في أحضان القرآن الكريم؛ ولأجله قام، وكان من مهامه السامية المحافظة عليه لكي لا يدخله لحن، ولا يزال العلماء يجدون فيه ما جدّوا في الطلب هادفين من كلّ ذلك أن نقف على الآيات القرآنية التي تضمنت (إذا) الفجائية، وان نجليَ أغراضها ومعانيها وبيان كلّ ما يتعلق بها معتمدين منهجاً اخترناه لأنفسنا يقوم على الاستفادة من تآزر الآيات القرآنية مع بعضها بعضاً، والمعاني التي ترافق النص ثمّ تمحيص آراء العلماء مفسرين كانوا أو معربين مستأنسين بالأقوى في الطرح ومن ثمّ تقرير القاعدة النحوية وتوثيق الحكم النحوي اعتماداً على النص المدروس، والواقع اللغوي الذي رافق النص، مع الموازنة والمقارنة بين النظائر التي تخدم النص.

وكي يحقق هذا البحث غايته، وأهدافه، ارتأيت أن توزع مباحثه على تمهيد وفصلين وخاتمة. أمّا التمهيد فقد تحدثت فيه عن عدد من الموضوعات منها:

1. التعريف بـــ(إذا)
2. أقسام (إذا) معانيها
3. معنى الفجائية
4. الفرق بين (إذا) الشرطية والفجائية

أمّا الفصل الأول فقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تصنيف الفجائية بين الكلمات

المبحث الثاني: تركيب جملة (إذا) الفجائية

المبحث الثالث: عمل (إذا) الفجائية

أمّا الفصل الثاني فقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: إحصائية للآيات التي وردت فيها (إذا) الفجائية

المبحث الثاني: (إذا) الفجائية في أقوال المعربين والمفسرين

وإنّي لأعلم أنّ الباحث يخطئ ويصيب، فإن كان ما أتيت به قد وافق الصواب فذلك الفضل من الله ونعمة وبركة من كتابه، وإن كانت الأخرى فاستغفر الله على ما كان من تقصير منّي، والله أعلم بنيتي فهو ربّ السرائر، وعليه التكلان.

أولاً: التمهيد:

التعريف بـــ(إذا):

جاء في لسان العرب: "إذا اسم يدلّ على زمان مستقبل، ولم تستعمل إلّا مضافة إلى جملة، تقول: أجيئك إذا احمرّ البسر، وإذا قدم فلان، والذي يدل على أنها اسم وقوعها موقع قولك: آتيك يوم يقدم فلان، وهي ظرف وفيها مجازاة؛ لأنّ جزاء الشرط ثلاثة أشياء: أحدها الفعل، كقولك: إن تأتني آتك، والثاني الفاء كقولك: إن تأتني فأنا محسن إليك، والثالث: (إذا) كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[1].."[2] وفي موضع آخر أورد ابن منظور قولاً لابن بري: " قال ابن بري: ذكر ابن جني في إعراب أبيات الحماسة في باب الأدب قوله:

فَبينا نَسوسُ الناسَ وَالأمرُ أمرنا إِذا نَحنُ فيهم سوقةٌ نتنصّفُ[3]

قال(إذا) في البيت هي المكانية التي تجيء للمفاجأة، قال وقد تزاد في الكلام كقول عبد مناف بن ربعي الهزلي:

حتى إذا أسلكوهم في قتائده ....[4]

أي: حتى أسلكوهم في قتائده..."[5]، جاء في تاج العروس: "وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها وذلك نحو قولك: خرجت فإذا زيد في الوقت بقيام"[6]، جاء في العجم الوسيط :"أنّ (إذا) كلمة مبنية تأتي لمعنيين، فتكون حرفاً للمفاجأة وتختص بالدخول على الجملة الاسمية ويحذف خبر المبتدأ معها كثيراً، ويذهب بعض اللغويين إلى أنها اسمٌ لا حرفٌ، وهي ظرف زمان أو ظرف مكان للجملة التي بعدها، أو خبر مقدم للمبتدأ إذا حذف خبره وتكون أداة للشرط والجزاء في المستقبل فتختص بالدخول على الجمل الفعلية ..."[7] ووافقه ما جاء في كتاب معجم اللغة المعاصرة ولم يبعد عنه كثيراً حيث جاء فيه: "أنّ (إذا) حرف للمفاجأة ولا يجيء في أول الكلام ومعناه الحال لا الاستقبال، وفي هذه الحالة لا يحتاج إلى جواب نحو: خرجنا فإذا المطر منهمر، و﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾[8]..."[9] ومما سبق نخلص إلى أنّ (إذا) كلمة مبنية على السكون تحتمل معاني متعددة والذي يحكم معناها السياق.

---

[1] – سورة الروم /36

[2] – لسان العرب لابن منظور: 430/15

[3] – البيت لحرقة بنت النعمان: خزانة الأدب: 59/7

[4] – هذا صدر بيت لعبد مناف بن ربعي كما جاء في المتن وعجزه: شَلّاً كَما تَطرُدُ الجَمّالَةُ الشُرُدا، خزانة الأدب: 41،39/7

[5] – اللسان: 431/15

[6] – تاج العروس للزبيدي: 369/4–370

[7] – المعجم الوسيط: 11/1

[8] – سورة الأعراف: 108

[9] – معجم اللغة المعاصرة، د. أحمد مختار عمر: 77/1

أقسام (إذا):

1- إذا الظرفية الشرطية:

هي ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه متضمن معنى الشرط خافض لشرطه منصوب بجوابه وأكثر ما يكون الفعل بعدها ماضياً[1]، ويسمى فعل الشرط، وقد يرد فعل الشرط مضارعاً أحياناً لكن بدرجة أقلّ وقد اجتمعا في قول الشاعر:

وَالنفسُ راغِبةٌ إِذا رَغَّبتَها فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ[2]

ويتبع فعل الشرط فعل آخر يطلق عليه بجواب الشرط ، وعليه فإذا الشرطية مختصة بالدخول على الجملة الفعلية، جاء في المعجم الوسيط" وتكون أداة للشرط والجزاء في المستقبل فتختص بالدخول على الجملة الفعلية ويكون فعلا الشرط بعدها مرفوعين..."[3]، جاء في كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم :" والأجود ألا يجازى بها كما مرّ في بيت (أبو ذؤيب) ... وقد يجزم بها نادراً في الشعر مثل: وإذا تصبك خصاصة فتجمل[4] ..."[5] وإنما منعت من الجزم؛ لأنهت مؤقتة، وحروف الجزم مبهمة، و(إذا) تفيد تحقق الجزم، فإذا قال الله – تعالى–: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[6]، فالانشقاق واقع لا محالة بخلاف (إن) الشرطية فإنها تفيد الظنّ والتوقع[7].

2- (إذا) التفسيرية:

وهي التي تكون بمنزلة (أي) التفسيرية في الجمل وتختلف عنها في أنّ الفعل بعد (إذا) للمخاطب تقول: استكتمته الحديث، إذا سألته كتمانه، والتقدير أي: سألته، ومثله استعذبته إذا وجدته عذبا واستفتيته إذا طلبت منه الفتوى[8].

3- (إذا) الاسمية غير الظرفية:

وهي (إذا) المجرورة بحتى: قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا﴾[9] وهي في القرآن كثيرة، قال بذلك ابن مالك وغيره، وقال بعضهم: إنّ حتى في هذه الآية ابتدائية[10].

---

[1]– لكن يراد به الاستقبال

[2] – البيت لأبي ذؤيب الهذلي: ديوان الهذليين 3/1 ،ديوان المعاني لأبي هلال العسكري: 47/1

[3] – المعجم الوسيط 11/1

[4] – هذا عجز بيت من الشعر لعبد بن قيس بن خفاف البرجمي وصدره : استغن ما أغناك ربك بالغنى....، المفضليات: 1558/2، والأصمعيات: ص230، والخصاصة الحاجة

[5] – شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميري: 218/1، أيضاً: المعجم المفصل في النحو، عزيزة بابتي: 47/1، والمعجم المفصل في علوم العربية التنوجي والأسمر: 27/1

[6] – سورة الانشقاق/1

[7] – المعجم المفصل في علوم العربية التنوجي والأسمر :27/1

[8] – المعجم المفصل في النحو، عزيزة بابتي: 74/1، المعجم المفصل في علوم العربية التنوجي والأسمر :27/1

[9] – سورة الزمر/71

[10] – الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي:571/1 ، المعجم المفصل في علوم العربية:27/1

4- إذا التي للماضي:

إن كان الأصل في وضع (إذا) ما يدل على المستقبل، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾[1] قال ابن الانباري: "وإنما جاز للماضي أن يكون بمعنى المستقبل إذا وقع صله لمبهم غير مؤقت فجرى مجرى قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]، معناه إنّ الذين يكفرون، ويصدون؛... قال ويقال: لا تضرب إن الذي ضربك إذا سلمت عليه فتجيء (إذا) لأنّ الذي غيره مؤقت، فلو وقّته فقال: اضرب هذا الذي ضربك إذ سلمت عليه، ولم يجز(إذا) في هذا اللفظ؛ لأن توقيت الذي أبطل أن يكون الماضي في معنى المستقبل" وفي موطن آخر قال: "غير أنّ (إذ) توقع موقع (إذا)، و(إذا) موقع (إذ) قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾[3] معناه إذا الظالمون؛ لأنّ هذا الأمر منتظر لم يقع ، قال أوس بن حجر في (إذا) بمعنى (إذ): وَالحافِظَ الناسَ في تَحوطَ إِذا لَم يُرسِلوا تَحتَ عائِذٍ رُبَعا[4].

أي: إذا لم يرسلوا.

وجاء في المعجم المفصل في علوم اللغة:" أن (إذا) التي للماضي هي التي تقع موقع (إذ) وقال بعضهم إن (إذ) لا تقع موقع (إذا) ولا (إذا)، موقع (إذ) و أولوا ما أوهم ذلك..."[5]

5- إذا التي للحال:

ذكر ابن هشام في مغني اللبيب: "والثاني أن تجيء للحال، وذلك كائن في الواقعة بعد القسم.."[6]

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[8] قيل: لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفاً لفعل القسم؛ لأنه إنشاء، لا إخبار عن قسم يأتي؛ لأن قسم الله سبحانه قديم، لا لكون محذوف هو حال من (الليل) و(النجم)؛ لأن الحال والاستقبال متنافيان، وإذا بطل هذان الوجهان تعين أنه ظرف لأحدهما على انه المراد به الحال...الخ، وذكر الرضي في شرح الكافية: "قيل ليس في (إذا) في نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ معنى الشرط، إذ جواب الشرط إمّا بعده أو مدلول عليه بما قبله، وليس بعده ما يصلح للجواب لا ظاهراً ولا مقدراً ؛ لعدم توقف معنى الكلام عليه، وليس هنا ما يدل على جواب الشرط قبل (إذا) إلا القسم، فلو كان (إذا) للشرط كان التقدير: إذا يغشى الليل أقسم فلا يكون القسم منجزاً، بل معلق بغشيان الليل، وهو المقصود إذ القسم بالضرورة حاصل وقت التكلم بهذا الكلام ، وان كان نهاراً غير متوقف على دخول الليل..."[9]

---

[1] – سورة الجمعة/11

[2] – سورة الحج/25

[3] – سورة الأنعام /93

[4] – انظر: الديوان، ص35

[5] – 21/1

[6] – 100/1

[7] – سورة الليل/1

[8] – سورة النجم/1

[9] – شرح الرضي:111/1

وبناء على ما سبق فإن (إذا) الواقعة بعد القسم ظرف للحال، فليس فيها معنى الشرطية ولا تدل على الاستقبال وقد أحصى الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة في كتابه دراسات لأسلوب القران الكريم ما يقارب ثلاثة عشر موضعا جاءت فيها إذا للحال[1].

6- إذا الفجائية:

لعل من الأنسب أن نطوّف عن معنى الفجائية في معاجم اللغة قبل أن نعرف بها، جاء في لسان العرب: "فَجَأَ فجِئه الأمر وفجأه، بالكسر والنصب، يفجؤ فجأة وفجاءة بالضم والمد، وافتجأه، وفاجأه يفاجئه مفاجأة وفجاءً هجم عليه من غير أن يشعر به وقيل: إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب، وكلُّ ما هجم عليك من أمر لم تحتسبه فقد فجأك...والفجاءة ما فجأك، وموت الفجاءة : ما يفجأ الإنسان من ذلك ... وقيده بعضهم بفتح الفاء وسكون الجيم من غير مد على المرة..."[2]

وجاء في مادة (ب غ ت) قال ابن منظور: "والبغت والبغتة: الفجأة، وهو على أن يفاجأك الشيء وفي التنزيل: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3] أي: فجأة،.. وأفظع شيء حين يفجؤك البغت، وقد بغته الأمر يبغته بغتاً، فجئه وباغته مباغته، وبغاتاً: فاجأه ، وقوله عز وجل: ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ أي: فجأة والمباغتة: المفاجأة .. و لقيته بغتة، أي: فجأة، ويقال: لست امن من بغتات القدر، أي: فجآته..."[4].

ومما سبق نخلص أن معاني (إذا) الفجائية: المباغتة، والمفاجأة، والإسراع والمسارعة والمعاجلة والابتدار، والمبالغة في بعض الأمور، وفعل الشيء بلا تريث أو تمهل، وحدوث الأمر بلا ترقب أو توقع، وهذا ما يتضح جليا عندما نتطرق إلى الجانب التطبيقي.

وهذا معنى لم يشر[5] إليه النحويون في مؤلفاتهم، قال ابن هشام في كتابه مغني اللبيب: "(إذا) على وجهين: أحدهما: أن تكون للمفاجأة، فتختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال نحو: خرجت فإذا الأسد بالباب ... وهي حرف عند الاخفش ويرجحه قولهم: خرجت فإذا إنّ زيداً بالباب؛ بكسر إنّ لأنّ (إنّ) لا يعمل ما بعدها في ما قبلها، وظرف مكان عند المبرد، وظرف زمان عند الزجاج واختار الأول ابن مالك ..."[6]، قال الرضي في شرح الكافية: "ومنها (إذا) وهي للمستقبل وفيها معنى الشرط فلذلك اختير بعدها الفعل وقد تكون للمفاجأة فيلزم المبتدأ بعدها، و(إذ) لما مضى ويقع بعدها الجملتان"[7]، جاء في تاج العروس: "إذا بالكسر وإنما أطلعه للشهرة تكون للمفاجئة فتختص بالجمل الاسمية ولا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال ... وقال الجوهري: "وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها، قال الأخفش: "(إذا) حرف، وقال المبرد ظرف

---

[1] – دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة:1/192-193

[2] – لسان العرب: مادة (فجا)، 1/121

[3] – سورة العنكبوت/53

[4] - لسان العرب:2/10-11

[5] – أي: لم يشر النحويون الى المعاني الأخرى التي ذكرت في المعاجم كالمباغتة والاسراع والمسارعة...الخ

[6] – 1/92

[7] – 1/108

مكان..."[1] وعليه فالأرجح في (إذا) الفجائية أنها حرف[2] تختص بالدخول على الجملة الاسمية، لا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال وتكون جوابا للجزاء كالفاء، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[3] وفيها مجازاة ونعني بذلك تسد مسد الفاء في جواب الشرط الجازم الذي يشترط فيه الفاء جاء في – زهر الآداب– قول الأصمعي:" مررت بدار الزبير بالبصرة فإذا شيخ قديم جالس بالباب، فسلمت عليه"[4] فـــ(إذا) هنا فجائية وجاء بعدها جملة اسمية.

وقد ذكر النحاة فروقاً[5] بين (إذا) الفجائية و(إذا) الشرطية منها:

1- أن (إذا) الشرطية اسم و(إذا) الفجائية حرف.
2- أن (إذا)الشرطية تدخل على الجملة الفعلية و(إذا)الفجائية تختص بالدخول على الجملة الاسمية.
3- أن (إذا) الشرطية تحتاج إلى جواب، و الفجائية لا تحتاج إلى جواب.
4- أن (إذا) الشرطية لها حق الصدارة، أي أنها تذكر في بداية الكلام و(إذا) الفجائية لايبدأ بها، أي: أنها لا تقع في صدر الكلام.
5- أن (إذا) الشرطية دالة على الاستقبال، والفجائية معناها الحال.
6- أن الجملة بعد(إذا) الشرطية في موضع خفض بالإضافة أمّا بعد الفجائية استئنافية.

ثانياً: الفصل الأول: تصنيف (إذا) الفجائية بين الكلمات

المبحث الأول: آراء النحاة في (إذا) الفجائية:

جاء في شرح الرضي عند حديثه عن حذف المبتدأ والخبر جوازاً ووجوباً قوله: "و(إذا) في قوله: إذا السبع للمفاجأة، واختلف فيها فنقل عن المبرد أنها ظرف مكان فعلى قوله يجوز أن تكون خبر المبتدأ الذي بعدها، أي: فبالمكان السبع ... قال الزجاج أنّ إذا المفاجأة ظرف زمان فعلى قوله يجوز أن تكون في قولهم: فإذا السبع خبراً عمّا بعدها بتقدير مضاف، أي: فإذا حصول الأسد، أي: ففي ذلك الوقت حصوله، لأنّ ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة كما مرّ... ونقل عن ابن بري أنّ إذا المفاجأة حرف فعلى هذا خبر المبتدأ في نحو: فإذا السبع محذوف، بلا خلاف"[6] وفي موطن آخر تحدث فيه عن (إذا) الفجائية جاء قوله: "وقد تقع للمفاجأة فيلزم المبتدأ بعدها، وقد ذكرنا الخلاف في إذا المفاجأة في باب المبتدأ وإنّ الأقرب كونها حرفاً، لا محلّ لها ...الخ"[7].

جاء في مغني اللبيب: "وهي حرف عند الاخفش ويرجحه قولهم: خرجت فإذا إنّ زيداً بالباب، بكسر (إنّ)؛ لأنّ (إنّ) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وظرف مكان عند المبرد وظرف زمان عند الزجاج واختار الأول ابن مالك،

---

[1] – 368/10

[2] – هذا ما نناقشه في بحث قادم – إن شاء الله– .

[3] – سورة الروم/36

[4] – زهر الآداب :182/1

[5] – لم يقتصر هذا التفريق على المحدثين بل ذكره أوائل النحاة

[6] – شرح الرضي :103/1–104

[7] – المرجع السابق :112/2

والثاني ابن عصفور، والثالث الزمخشري وزعم أن عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ المفاجأة، قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[1]، إنّ التقدير إذا دعاكم فاجأتم الخروج في ذلك الوقت ، ولا يعرف هذا لغيره...الخ"[2]، وقد اقترب السيوطي كثيراً مما جاء في مغنى اللبيب حيث يقول:" وهي حينئذ حرف عند الكوفيين والاخفش واختاره ابن مالك ويرجحه قولهم: خرجت فإذا إنّ زيداً بالباب بكسر (إنّ)... وظرف مكان عند المبرد والفارسي وابن جني وأبي بكر بن الخياط، واختاره ابن عصفور وظرف زمان عند الرياشي والزجاج واختاره الزمخشري وابن طاهر، وابن خروف والشلوبين إبقاءً على ما ثبت لها...الخ"[3]

وممّا سبق يتبين مدى الخلاف الذي وقع بين النحاة في تحديد وتصنيف (إذا) من بين الكلمات والتي انحصرت في ثلاثة أقوال:

1- القول الأول: أنّ إذا الفجائية ظرفية سواء كانت ظرف مكان أو ظرف زمان.

2- القول الثاني: أنّ (إذا) الفجائية حرف.

3- القول الثالث: أنّ (إذا) الفجائية فعل وهو أضعف الأقوال.

ونحن إذ نناقش هذه الأقوال كلّ واحد على حدة نبدأ بأولها ألا وهو القول بظرفيتها:

1- القول الأول: وهو الذي يقول بظرفية (إذا) ومع توافقهم على ظرفية (إذا) إلا أنهم اختلفوا في تحديد نوعية الظرف أهو للمكان أم للزمان وانحصرت أقوالهم في رأيين:

أ- الرأي الأول: وهو الذي يقول بأنّ (إذا) الفجائية ظرف زمان.

وهذا الرأي مذهب طائفة من النحاة ومنهم: ابن خروف وابن طاهر والشلوبين والزجاج والذي يقول: "إنّ (إذا) على كلّ حال للزمان"[4]، ورجحه الزمخشري في الكشاف حيث يقول: "القول بأنّ (إذا) الفجائية ظرف"[5] واعتبر ذلك القول الأصح والمحققّ في هذه المسألة، أمّا عن رأي سيبويه في هذه المسألة فظاهر كلامه في كتابه بأنّ (إذا) الفجائية ظرفية حيث يقول: "إنّ (إذا) على أنواع ومنها أن تكون للشيء توافقه في حال أنت فيها" – يعني (إذا) الفجائية – والتي عبّر عنها في موضع آخر بقوله: "ولـــ(إذا) الفجائية موضع آخر يحسن ابتداء الاسم بعدها...الخ "[6]

فالنص يوحي بأنه حمل (إذا) الفجائية على الظرفية، وهكذا فهمه جمهور النحاة لكنهم اختلفوا في تحديده أهو ظرف مكان أم ظرف زمان، ومع أنّ الأكثرية من النحاة تميل كونها ظرفية زمانية إلّا أنّ الذي تميل إليه النفس بأنها للحرفية أقرب، وهذا ما نوضحه بعد مناقشة الآراء الأخرى.

---

[1] – سورة الروم /25

[2] – 112/2

[3] – همع الهوامع :182/2-183

[4] – الفرائد الجديدة (نظم الفريدة وشرحها المطالع السعيدة للسيوطي: 400/1، الجدول في إعراب القرآن 368/1

[5] – الكشاف للزمخشري: 93/4

[6] – الكتاب، سيبويه: 107/1

ب- الرأي الثاني: وهو الذي يقول بأن (إذا) ظرف مكان.

وهو رأي طائفة من النحاة منهم: أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني وابن الخياط واختاره ابن يعيش حيث يقول: "وقد تكون (إذا) للمفاجأة فتكون فيه اسماً للمكان وظرفاً من ظروفه"[1] وهو من اختيارات ابن عصفور ولابن للقواس الموصلي رأي حيث يقول: "يلزم المبتدأ بعدها وتكون حينئذ ظرف مكان؛ لأنك تقول خرجت فإذا زيدٌ قائماً فتنصب قائماً على الحال فلو لم تكن (إذا) هي الخبر لامتنع نصبه"[2]، أمّا عن المبرد فيبدو لنا أنّ له قولين: الأول نعت فيه (إذا) الفجائية بأنها حرف، وهذا مأخوذ من قوله:" ولــ(إذا) موضع آخر وهي التي يقال لها حرف المفاجأة ،وذلك نحو قولك خرجت فإذا زيد، وبينا أسير فإذا الأسد" أمّا القول الثاني وقد قطع فيه أن (إذا) الفجائية ظرف مكان حيث يقول: "فأمّا (إذا) فهي التي تسد مسد الخبر، والاسم بعدها مبتدأ وذلك كقولك: جئتك فإذا زيد، وكلمتك فإذا أخوك ، لكنّ المدققَ في كلام المبرد يجد أنه لم ينصّ صراحة على نوعية ظرفية (إذا) الفجائية أهي للمكان أم للزمان، ولكن فهم المتأخرون من كلامه القول بظرفية (إذا) المكانية، وذلك عائد لطبيعة المثال الذي أورده حينما قال: جئتك فإذا زيد، فقد اكتفى بذكر المبتدأ (زيد)، وبهذا تكون (إذا) خبراً عنه؛ فيتعين كونها ظرف مكان؛ إذ لا يجوز أن تكون ظرف زمان؛ لامتناع وقوع ظرف الزمان خبراً عن الجثة، وعليه فقد استدل بعض الباحثين، وعليه فقد استدل بعض القائلين بظرفية المكان لــ(إذا) الفجائية بسبب وقوعها خبراً عن الجثة ، وأجاب الرافضون بأنه على حذف مضاف؛ أي: حضور زيدٍ.

وعند التدقيق يبدو لنا بأن القائلين بظرفية المكان لــ(إذا) الفجائية لا يبعد عن الضعف؛ إذ أنهم يؤولون (إذا) بكلمة الحضرة لتكون ظرفاً مكانياً ولو كان الأمر كذلك لجاز تقديمها على الاسم (المبتدأ) وتأخيرها عنه كما يجوز التقديم والتأخير بكلمة الحضرة، ولكن تقديم (إذا) في كلّ كلام تكون فيه للمفاجأة دليل على ضعف التوجيه.

2- القول الثاني: أنّ (إذا) الفجائية حرف.

ذهب طائفة من النحاة القدامى وأكثر المحدثين إلى القول بحرفية (إذا) الفجائية وينسب هذا القول في الأصل إلى الاخفش والكوفيين، ولكن بعد إعادة النظر والتدقيق والتمحيص في نسبة القول للكوفيين اتضح لنا أنها غير دقيقة فهي عندهم ظرف مكان كما جاء في كتاب الإنصاف[3]، وتبع الكنغراوي في كتابه (الموفي في النحو الكوفي)[4] حيث قال: "وقد تكون (إذا) للمفاجأة، فهي اسم في محل مفعول فيه للجملة بعدها"[5] والذي يبدو أن ما نسبه النحويون من حرفيّة (إذا) للكوفيين ليست كما هي وإنما هي لبعضهم كما نقل للأخفش رأي آخر قال فيه بظرفية (إذا) على أنها ظرف زمان[6].

---

[1] – شرح المفصل لابن يعيش: 123/3

[2] – شرح ألفية ابن معطٍ، لابن القواس الموصلي: 137/2

[3] – الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري: 74/2

[4] – تناول صدر الدين الكنغراوي في كتابه هذا أشهر المسائل الكوفية وناقشها

[5] – الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي: ص110

[6] – مجالس ثعلب للزجاجي: ص98

والملاحظ أنّ المراديّ وابن هشام لم ينقلا الرأي الآخر للأخفش[1]، وهي أن تكون بمعنى الوقت مما يدلل على ظرفيتها الزمانية عنده، واستدلّ من ذهب على حرفيتها بقول الشاعر:

وكنت أرى كما قيل سيّداً إذا أنه عبد القفا واللهازم[2]

وذلك لأنّ (إنّ) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وذكر البتيوشي أنّ الاستدلال بهذا البيت دليل حسن على حرفيتها[3]، كما أنّ السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه[4]، والأعلم الشنتمري في النكت[5] وابن بري في شرح الرضي على كافية ابن الحاجب[6]، وابن مالك في شرح التسهيل[7]، والمالقي في رصف المباني[8] ذهبوا إلى القول بحرفيتها، كما رجح عباس حسن وهو من المحدثين القول بحرفيتها، حيث يقول حيث يقول: والأحسن في هذه الحالة أي: إذا كانت للمفاجأة اعتبارها حرفاً"[9]، وكذلك اختار حرفيتها محيي الدين درويش وتكلّم عليها كثيراً في كتابه (إعراب القرآن وبيانه)[10] ومثله الدكتور أيمن عبد الرزاق الشوا صاحب كتاب (من أسرار الجمل الاستئنافية)[11]، كما أنّ عدداً كبيراً، من المفسرين والذين لهم اهتمامات بالجانب اللغوي ويميلون إلى الإعراب مالوا إلى هذا الرأي ،وهذا ما نرجحه في بحثنا هذا، وذلك بعد أن تَجَمَّعَ لدينا من الأدلة ما نرجح بها حرفية (إذا) الفجائية، وهي في جوهرها لا تخرج عمّا ذكره ابن مالك في شرح التسهيل[12] بعد أن اطلعنا عليها، وبناءً عليه فهاكم الأدلة التي من خلال التقصي والبحث تمّ التوصل إليها:

1- أنها كلمة[13] تدلّ على معنى في غيرها وهذا يتفق مع حرفيتها.
2- أنها كلمة لا تقع إلّا بين جملتين وهذا لا يقع في الحروف.
3- أنها كلمة لا يليها إلّا جملة ابتدائية.
4- أنها لو كانت ظرفاً لم يختلف في ظرفيتها في كونها ظرف زمان أو ظرف مكان إذ ليس الظروف ما هو كذلك.

---

[1] – الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي: ص364
[2] – لم أقف على قائله ، انظر الخزانة: 265/10
[3] – الحفاية بتوضيح الكفاية: ص350
[4] – شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي: 370/3
[5] – النكت في تفسير كتاب سيبويه: للأعلم الشنتمري: 784/2
[6] – شرح الرضي: 103/1-104
[7] – شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: 142/2
[8] – ص61
[9] – النحو الوافي عباس حسن: 218/1
[10] – 376/2 أيضاً: ص من البحث28
[11] – من أسرار الجمل الاستئنافية دراسة لغوية قرآنية ، أيمن عبد الرزاق الشوا: ص279
[12] – شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: 142/2
[13] – يعني أنّ (إذا) الفجائية فهي غير قابلة لعلامة من علامات الأسماء أو الأفعال

5- أنها لو كانت ظرفاً لم تربط بين جملتي الشرط والجزاء نحو قوله تعالى:﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[1]، هذا لا يقع إلّا في الحروف

6- أنها لو كانت ظرفاً لوجب اقترانها بالفاء إذا صدّر جواب الشرط، فالفاء لازمة لكلّ ظرف صدّر به الجواب.

7- أنها لو كانت ظرفاً لأغنت عن خبر ما بعدها، ولكثر نصب ما بعدها على الحال كما كان مع الظروف المجمع على ظرفيتها كقولك: عندي زيد مقيماً، وهناك بشر جالساً والاستعمال في نحو: مررت فإذا زيد قائم بخلاف ذلك.

8- أنها لو كانت ظرفاً لم تكسر بعدها همزة (إنّ)[2].

ونحن إذ نقرّ بحرفية (إذا) لم نخرج عما قرره الاصوليون فيما استوت فيه مسألتان: إحداهما تحتاج الى تأويل والاخرى لا تحتاج فعدم التأويل أولى.

3- القول الثالث: أنّ (إذا) الفجائية فعل

لم يثبت لدينا قول صريح بفعلية (إذا) الفجائية لنحوي معروف سوى ماحكاه المالقي في كتابه – رصف المباني في شرح حروف المعاني ناقلاً قول من زعم" أنّ (إذا) الفجائية في موضع فعل فيكون الأسد على هذا فاعلاً بها في قولهم: خرجت فإذا الأسد؛ لأنها في موضع فعل...الخ"[3]، وإن ذهبت طائفة من النحاة إلى أنّ (إذا) الفجائية تكون بمعنى الفعل؛ فهذا القول ليس بغريب؛ فقد قالوا: إنّ (ياء النداء) بمعنى أدعو، و(ليت) بمعنى أتمنى (لكنّ) بمعنى استدرك، قال الفراء في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾[4] أنّ العرب تجعل (إذا) تكفي من فعلت وفعلوا، وفي هذا الموضع اكتفى بـــ(إذا) من فعلوا، ولو قيل: من بعد ضرّاء مستهم مكروا كان صواباً"[5]، وعليه لا يفهم من قول الفراء أنّ (إذا) فعل وإنما اكتفى بها عنه مجازاً مع ما يلقى إلى الذهن من معنيي السرعة والمباغتة كما في الآية.

وإن أدى الاختلاف بين النحاة إلى توجيه (إذا) الفجائية إلى الظرفية المكانية أو الزمانية أو الحرفية كما ارتأينا فهو أمر مقبول عندنا وقد قال به عدد من العلماء العظام كأمثال سيبويه والمبرد وابن مالك والزمخشري وأبي حيان أو ما نرى من أقوال المفسرين والمعربين فيما بعد، إلا أن الغرابة وما يثر الدهشة أن تصنف (إذا) في الأفعال، فهذا كلام واهٍ ولا أساس له من الصحة ، ولا يوجد من يدعمه، أو يؤيده، كما أنه يتنافى مع ما أقره النحاة في (إذا) الفجائية بأنها ظرف مكانية أو زمانية أو حرفية ، ولا ثالث لهما.

وحسب ظني أن الظاهر والمقصود من كلام القائلين بفعليّتها قائم على التفسير المعنوي لوظيفة الأداة وتحميل اللفظة لمعاني أخر، وكلّ ذلك يدخل في باب التضمين ، وهذا الذي يفهم من كلام ابن جني في – سر صناعة

[1] – الروم/36

[2] – شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: 142/2

[3] – ص61-62

[4] – سورة يونس/21 وعليه يحمل قراءة

[5] – معاني القرآن للفراء: 495/1

الإعراب- عند حديثه عن (إذا) الفجائية حيث يقول: "وأمّا تفسير المعنى فهو خرجت ففاجأت زيداً، وإن شئت: خرجت ففاجأني زيدٌ...الخ"[1]، وكلّ ذلك يتأتى من طريق التضمين.

المبحث الثاني: تركيب الجملة بعد (إذا) الفجائية:

لم يقتصر خلاف النحاة حول تصنيف (إذا) الفجائية فحسب بل تعدّى إلى شكل آخر، تجسد في طبيعة بناء الجملة، وابنى على ذلك خلاف في توجيه عمل (إذا) فيما بعد وهو ما جسدته مناظرة علمية قوية في تاريخ النحو العربي، ونعني بذلك ما دار بين سيبويه والكسائي فيما عرف بالمسألة الزنبورية[2].

وسنعرض فيما يأتي توصيفاً لبناء الجملة وتركيبها بعد (إذا) مع بيان طبيعة عملها فيما بعد وعليه سيدور الحديث حول محورين اثنين هما: التركيب والعمل وهذا ما نتحدث عنه في المبحث الثالث بمشيئة الله.

أوّلاً: التركيب:

ونعني بالتركيب بعد (إذا) الفجائية بناءها، أو صياغتها من خلال رصف الوحدات اللغوية المعبرة قصد المتكلم وذلك وفق قواعد الإسناد والإفادة المتعارف عليها في لغة من لغات العالم وفيما يأتي توصيف لتلك الأنماط:

1- مجيء الاسمين مرفوعان بعد (إذا) الفجائية:

وهو أكثر الأنماط التركيبية بعد (إذا) الفجائية شيوعاً فإذا قلت: خرجت فإذا زيد قائم، فيكون (زيد) مبتدأ و(قائم) خبراً، سواء كانت(إذا) ظرف مكان، أم زمان وذكر الجملة الاسمية بركنيها كاملة بعد (إذا) الفجائية هو الأكثر شيوعاً، وهذا ما صرح به في القرآن الكريم كما سنرى ، وهو الأظهر في تمثيل

سيبويه حين قال: خرجت فإذا زيد قائم[3]، وهذا التركيب الاسمي بعد (إذا) الفجائية يكون في الخبر متنوعاً يشمل المفرد والجملة الاسمية والفعلية وشبه الجملة.

2- مجيء الاسم بعد (إذا) الفجائية مرفوعاً والثاني منصوباً:

يأتي الاسم منصوباً بعد(إذا) بعد الفجائية، وذلك إذا قيل بظرفيتها المكانية وحينئذ تكون (إذا) خبراً عن المبتدأ، فإذا قلت: خرجت فإذا الأسد، وأردت الظرفية لم يكن هناك حذف، وكان (الأسد) مبتدأً، و(إذا) هي الخبر، أي: ففي الحضرة الأسد كما تقول: عندي زيد، فإذا ذكر بعد المرفوع منصوب، كان نصبه على الحال نحو: خرجت فإذا واقفاً، وفي(رصف المباني في شرح حروف المعاني) ذهب المالقي إلى حذف الخبر فيمثل هذا التركيب منطلقاً من توجيهه بحرفية (إذا) الفجائية[4]، ويجري هذا القول أيضاً إذا حملنا(إذا) الفجائية على الظرفية، لأنّ ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة إلّا أفاد، كما لا ينضوي تحت هذا التركيب أعني أن يرد المنصوب بعد المرفوع مع (إذا) الفجائية المسألة

---

[1] – سر صناعة الإعراب لابن جنّي: 256/1

[2] – وملخص هذه المناظرة أن سأل الكسائي سيبويه ما تقول في قول العرب: قد كنت أظنّ أنّ العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها "، وقد ناقش ابن الانباري هذه المسألة في كتابه: الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين رجح فيها رأي سيبويه وهو فإذا هو هي ويؤيده قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ ورُوي بنصب (قيام)، الانصاف في مسائل الخلاف 74/2-75

[3] – الكتاب: 232/2

[4] – رصف المباني في شرح حروف المعاني: ص61

الزنبورية الشهيرة على الأرجح؛ وذلك لأن المنصوب في: فإذا هو إيّاها ضمير والضمائر من أقوى المعارف والمعارف لا تقع حالاً على الأرجح بل الأكثر وقوعها نكرة.

3- مجيء الاسم بعد (إذا) الفجائية مرفوعاً فقط:

وهو موضع من مواضع حذف الخبر جوازاً تقول: خرجت فإذا السبع قائم أو واقف، وحذف الخبر هنا للعلم به لأنه كون، أو استقرار مفهومان من قرائن الكلام، ومن المفاجأة المدلول عليها بالأداة، ولا يتأتى هذا التوجيه إلا بالقول في حرفية هذه الأداة أو ظرفيتها الزمانية وقد أشرنا إليه، وذهب المبرد إلى الخبر في هذا التركيب ليس محذوفاً، وإنما الخبر هو(إذا) الفجائية لدلالتها على المكانية والتقدير عنده: فالبحضرة السبع، وقد سبق بيانه ويعزز قول المبرد ابن يعيش حيث يقول:" فإذا قلت: خرجت فإذا السبع وأردت به الظرفية المكانية، لم يكن هناك حذف وكان السبع مبتدأ و(إذا) الخبر.

4- مجيء الاسم مشغولاً عنه بعد (إذا) الفجائية:

لم يكن باب الاشتغال بعيداً عن (إذا) الفجائية فلقد ذكر النحاة وعلى رأسهم ابن هشام من أنّ (إذا) الفجائية تختص بالأسماء ومع أنّ المسالة واضحة عند النحاة إلّا أنه ثار بينهم حول جواز مجيء الاسم بعدها مشغولاً عنه على ما مثلوا به: خرجت فإذا زيد يضربه عمرو، فقيل يمنع مطلقاً في حين ذهب الاخفش وتبعه ابن عصفور إلى الجواز بشرط اقتران الفعل بقد على نحو: خرجت فإذا زيد قد ضربه عمرو وامتناع ذلك من دون (قد)، وذهب الكسائي إلى الجواز مطلقاً سواء قرن بقد، أم لم يقترن وظاهر كلام سيبويه الجواز، خلافاً لمن نقل المنع، والظاهر جواز هذا الاستعمال فقد أورد ابن عقيل في شرحه مسألة من مسائل الاختلاف وأشار فيها إلى وجوب الرفع وذلك إذا وقع الاسم المشتغل عنه بعده أداة تختص بالدخول على الأسماء كـــ(إذا) الفجائية تقول: خرجت فإذا زيد يضربه عمروٌ، برفع (عمرو)، ولا يجوز نصبه لأنّ (إذا) هذه لا يقع بعدها لا ظاهراً ولا مقدراً، زيادة على ذلك أنّ بناء الجملة يحكي المقصود من المعنى بإحداث التوكيد أوّلاً من خلال تقديم المفعول به والمفاجأة، ثانياً من حيث إردافه لـــ(إذا) الفجائية.

المبحث الثالث: عمل (إذا) الفجائية:

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: اختلاف النحاة في عمل (إذا) الفجائية:

لم يقتصر الإشكال في (إذا) الفجائية على التصنيف وتركيب الجملة بعدها فقط بل تعدّى إلى عمل الأداة نفسها ولاشك أنّ هذا الخلاف له صلة وثيقة بطبيعة تصنيفها فمما سبق عرجنا على كون (إذا) ظرف مكان أو زمان عند عدد من النحاة وكونها ظرفية يعني قبولها الإضافة لما بعدها من الجمل وهذا مكمن الخلاف فمن قال بظرفيتها المكانية لم يجوز إضافتها للجملة الاسمية إذ لا يضاف من ظروف المكان إلّا حيث ولهذا علّل النحاة سبب بناء (حيث) هو خروجها عن باب الإضافة[1]، أمّا القول بظرفيتها الزمانية فتكون (إذا) مضافة للجملة بعدها، والعلة في إضافة ظروف الزمان إلى الإحداث هي وقوعها فيها.

أمّا من قال بحرفيتها فلا إشكال؛ لأنّ الحروف لا تضاف وهو المحبب إلى النفس وتميل إليه المشاعر فـــ(إذا) حرف مفاجأة كما سبق أن وضحنا، والحروف لا تضاف إلى غيرها.

[1] – شرح الرضي:372/1

المطلب الثاني: باب اجتماع (إذا) الفجائية والفاء معاً في جواب الشرط:

تحدث النحاة أنه إذا كان جواب الشرط جملة اسمية وجب اقترانه بالفاء ويجوز إقامة (إذا)، ولكن الذي يبدو أنّ هذا التعبير ليس دقيقاً، وليس على إطلاقه نعم إنّ كلاً من الفاء و(إذا) تؤديان وظيفة الربط، لكنهما تختلفان في إضفاء الدلالة على التركيب، فضلاً عن ذلك قولهم بجواز إقامة أحدى الأداتين مقام الأخرى يدحضه اجتماع الأداتين معاً في بعض التراكيب مما جعلهم يضطربون في تخريج بعض السياقات التي تجتمع فيها الفاء و(إذا) معاً وكي تزيد الصورة وضوحاً واستقصاء لآراء النحاة في المسألة حتى نصل إلى القول الراجح نورد الآتي:

1- رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي:

أوضح الخليل بن أحمد أنّ وظيفة (إذا) هي الربط، وذلك فيما حكاه عنه تلميذه سيبويه، إذ قال:" وسألت الخليل عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[1]، فقال هذا كلام معلق بالكلام الأول كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأول"[2].

2- رأي الاخفش:

لا اختلاف ولا خروج عند الاخفش عما قاله الخليل، إذ قال في الآية الكريمة نفسها ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ هو الجواب لأنّ(إذا) معلقة بالكلام الأول بمنزلة الفاء.

3- رأي عبد القاهر:

لم يخرج عبد القاهر عمّا اختطه الخليل بن من قبل حيث قال: "و(إذا) بمنزلة الفاء في تعليق الجملة الشرطية وذاك أن (إذا) هذه ظرف المفاجأة، وهي دالة على التعقيب الذي تدلّ عليه الفاء، وإذا كان الأمر كذلك كان قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ بمنزلة قولك: وإن تصبهم سيئة فهم يقنطون[3].

4- رأي ابن يعيش:

وعلى نهج من سبق جاء رأي ابن يعيش في أنّ (إذا) للمفاجأة، والمفاجأة والتعقيب متقاربان في المعنى، ولذلك تتعاقبان[4]، وهكذا قال السيوطي: "أنّ (إذا) نائبة الفاء ومغنية عنه في جواب الشرط"[5] ونورد هنا قولاً للمبرد بأنها عاطفة، إذ قال في المقتضب: "وذلك قولك جئتك فإذا زيد، وكلمتك فإذا أخوك، وتأويل هذا جئت ففاجأني زيد وكلمتك ففاجأني أخوك"، ونسب أبو الفتح هذا القول إلى مبرمان- تلميذ المبرد- حيث قال في الخصائص: "وهذا نُقُول قول مبرمان إنّ الفاء في نحو قولك: خرجت فإذا زيد" عاطفة وليست زائدة كما قال عثمان ولا للجزاء كما قال الزيادي..."[6]، ولعلّ في هذا حملاً على المعنى، أي: خرجت ففاجأني كذا، وننقل قول الزيادي الذي نقله الرضي في شرح الكافية:" وأمّا الفاء الدّاخلة على (إذا) المفاجأة فنقل الزيادي أنها جواب شرط مقدّر، ولعله أراد أنها فاء السببية

[1] – الروم/36

[2] – الكتاب لسيبويه :73/3-74

[3] – المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني 1101/2

[4] - شرح المفصل لابن يعيش :126/3

[5] - همع الهوامع :329/4

[6] - الخصائص لابن جني :330/3

التي يراد منها لزوم ما بعدها لما قبلها أي: مفاجأة السبع لازمة للخروج"[1]، وأمّا المازني فقال: بأنها زائدة[2] وليس بشيء إذ لا يجوز حذفها.

5- رأي عباس حسن:

جاء في النحو الوافي:" يجوز الجمع بين الفاء و(إذا) الفجائية، صرح أكثر النحويين بأنه لا يجوز الجمع وتأوّلوا قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ* وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3]، فقالوا إنّ (إذا) لمجرد التأكيد هنا، وليس للربط ، والممنوع أن تكون للربط عوضاً عن الفاء إذ لا يصح الجمع بين العوض والمعوض عنه..."[4]، وهذا الإشكال الذي ظهر عند النحاة في الجمع بينهما حيث تؤدي (إذا) الفجائية وظيفة الربط، والفاء تؤدي وظيفة الربط أيضاً؛ شرعوا يبحثون له عن مخرج ؛ ويؤولون ما أشكل عليهم حتى يكون هذا التعبير مسوغاً فقالوا: إنّ اجتماع (إذا) و(الفاء) معاً يفيد التوكيد أو الفاء زائدة، أو عاطفة، علق عليه عباس حسن بقوله :"وهذا تأويل بادي الضعف عندي؛ لأنّ المهم والمراد معرفته هو الجمع بين الحرفين أحياناً أصحيح هو سائغ الاستعمال أم غير صحيح وغير سائغ والقرآن قد جمع بينهما فلم يبق مجالاً لمنع الجمع...".

والحق أنّ بين الأداتين فرقاً، فيما تضيفانه من معنى على الجملة، فالفاء تفيد السبب في هذا السياق ولا تفيد المفاجأة، بعكس (إذا) التي تدلّ على المفاجأة، والمباغتة ولا تفيد السبب، والقول الراجح في ذلك: أنّ اجتماعهما لا يفيد التوكيد لاختلاف دلالتيهما، إذ لو كانتا بمعنى واحد لأمكن اجتماعهما للتوكيد؛ ولكن جيء بالفاء لربط الجواب بالشرط مع إفادة السبب، وجيء بـــ(إذا) الفجائية للدلالة على معنى المفاجأة، فاجتمعتا لاختلاف وظيفتيهما.

ثالثاً: الفصل الثاني: دراسة(إذا) الفجائية في أسلوب القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: إحصائية للآيات التي وردت فيها (إذا)

المبحث الثاني: أقوال المعربين والمفسرين في (إذا) الفجائية

أولاً: إحصائية للآيات التي وردت فيها (إذا) الفجائية

وردت (إذا) في القرآن الكريم في ست وأربعين موضعاً مرتبة حسب ورودها في المصحف على النحو الآتي:-

سورة النساء:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ آية /77

سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آية/44

سورة الأعراف:

1- قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ آية /107

---

[1] - شرح الكافية:93/1

[2] - شرح المفصل لابن يعيش:3/9-4، أيضاً: مغني اللبيب :143/1

[3] - سورة الأنبياء/96-97

[4] - النحو الوافي عباس حسن :665/4

2- قال تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ آية /108
3- قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ آية /117
4- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ آية /135
5- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ آية/201

سورة التوبة:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ 58

سورة يونس:

1- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ آية /21
2- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ آية /23

سورة النحل:

1- قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ آية/4
2- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ آية/54

سورة طه:

1- قال تعالى :﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ آية/20
2- قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ آية/66

سورة الأنبياء:

1- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ آية/12
2- قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ آية/18
3- قال تعالى: ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ آية/97

سورة المؤمنون:

1- قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ آية/64
2- قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آية/77

سورة النور:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ آية/48

سورة الشعراء:

1- قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ آية/32
2- قال تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ آية/33
3- قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ آية/45

سورة النمل:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ آية/45

سورة القصص:

قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ آية/18

سورة العنكبوت:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ آية/65

سورة الروم:

1- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ آية/20

2- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ آية/25

3- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ آية/33

4- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ آية/36

5- قال تعالى: ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ آية/48

سورة يسن:

1- قال تعالى: ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ آية/29

2- قال تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ آية/37

3- قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ آية/51

4- قال تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ آية/53

5- قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ آية/77

6- قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ آية/80

سورة الصافات:

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ آية/19

سورة الزمر:

1- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ آية/45

2- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ آية/68

سورة فصلت:

1- قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ آية/34

سورة الزخرف:

1- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ آية/47

2- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ آية/50

3- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ آية/57

سورة الملك:

قال تعالى: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ آية/16

سورة النازعات:

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ آية/14

وحتى تزاد الصورة وضوحاً نرسم لك – أخي القارئ – جدولاً من خلال عملٍ إحصائي لـــ(إذا) الفجائية في القرآن سيكون في غاية الأهمية نضعه أمامك؛ لتستخلص بعض الفوائد والنتائج الأولية ولعلمنا بأنّ الجداول تعطى مساحة أوسع في استخلاص النتائج وسترى.

جدول *يوضح ورود (إذا) الفجائية في القرآن الكريم مرتبة حسب ورودها في المصحف وعدد مراتها وأرقامها*

م	اسم السورة	نوع السورة	عدد المرات	رقم الآية
1-	النساء	مدنية	مرة واحدة	77
2-	الأنعام	مكية	مرة واحدة	44
3-	الأعراف	مكية	خمس مرات	201،135،117،108،107
4-	التوبة	مدنية	مرة واحدة	58
5-	يونس	مكية	مرتان	23،21
6-	النحل	مكية	مرتان	54،4
7-	طه	مكية	مرتان	66،20
8-	الأنبياء	مكية	ثلاث مرات	97،17،11
9-	المؤمنون	مكية	مرتان	77،64
10-	النور	مدنية	مرة واحدة	48
11-	الشعراء	مكية	ثلاث مرات	45،33،32
12-	النمل	مكية	مرة واحدة	45
13-	القصص	مكية	مرة واحدة	18
14-	العنكبوت	مكية	مرة واحدة	65
15-	الروم	مكية	خمس مرات	48،36،33،25،20
16-	يس	مكية	ست مرات	80،77،53،51،37،29
17-	الصافات	مكية	مرة واحدة	19
18-	الزمر	مكية	مرتان	68،45
19-	فصلت	مكية	مرة واحدة	34
20-	الزخرف	مكية	ثلاث مرات	57،50،47
21-	الملك	مكية	مرة واحدة	16
22-	النازعات	مكية	مرة واحدة	14

بعد القراءة الأولى للجدول السابق نقف على بعض الفوائد والنتائج الأولية نذكر منها:

1- عدد الآيات التي ذكرت فيها (إذا) الفجائية هو ست وأربعون آية، وهذه الآيات موزعة على اثنتين وعشرين سورة من سور القرآن الكريم.

2- أكثر السور اشتمالاً على (إذا) الفجائية هي سورة (يس) حيث ورد ذكر(إذا) الفجائية فيها ست مرات، ويليها سورتا الأعراف، والروم حيث ذكرت (إذا) الفجائية خمس مرات في كلّ منهما، أمّا سورة الأنبياء والشعراء والزخرف فذكرت (إذا) الفجائية ثلاث مرات لكل منها.

3- اقترنت(إذا)الفجائية بالفاء في القرآن الكريم في ستة وعشرين موضعاً،ووردت بدونها في عشرين موضعاً.

4- بلغ عدد آيات (إذا) الفجائية في العهد المكي ثلاثة وأربعين موضعاً، في حين وردت في العهد المدني في ثلاثة مواضع فقط، وهذا يعني أنّ نسبة ورود (إذا) الفجائية في السور المكية ما يقارب 93،47% من نسبة ذكرها في القرآن الكريم كاملاً، وهذا يعني أنّ الغالبية العظمى من (إذا) الفجائية ذكرت في العهد المكي، وهذا له دلالته إذ تميز العهد المكي بالاضطراب وعدم الاستقرار، وتغلب عليه المفاجآت وهو ما نوضحه – بإذنه تعالى– وبشكلٍ جليّ عند حديثنا عن آراء المعربين والمفسرين في المبحث القادم إن شاء الله.

زيادة على ذلك لو أمعنا النظر في سياق جملة (إذا) الفجائية لوجدناها على النحو التالي:

أولاً: بالنسبة للخبر:

لوحظ أنّ خبر المبتدأ بعد (إذا) الفجائية جاء مصرحاً به في جميع مواقعه في الكريم،كما جاء هذا الخبر متنوعاً على أربعة أنواع:

1- مجيء الخبر مفرداً وذلك في تسعة عشر موضعاً.

2- مجيء الخبر جملة فعلية وذلك في أربعة وعشرين موضعاً.

3- مجيء الخبر جملة اسمية في موضع واحد.

4- مجيء الخبر جاراً ومجروراً في موضعين.

كما لوحظ في بعض القراءات نصب الاسم النكرة (الخبر) بعد (إذا) الفجائية على نحو من قرأ (قياماً) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[1]، وأهل الكوفة يرون أيضاً نصب الاسم المعرفة على نحو ما مرّ في المسألة الزنبورية: فإذا هو إياها[2].

5- لوحظ أيضاً أنه تقدم على (إذا) الفجائية حرفان من حروف العطف،هما: (ثمّ)،و (الفاء) أمّا(ثم) ففي آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾[3] وإمّا الفاء فقد جاءت في ست وعشرين موضعاً.

6- جاءت (إذا) الفجائية في سياق جواب (لمّا) الحينية في ثمانية مواضع.

7- جاءت (إذا) الفجائية رابطة لجواب (إذا) الشرطية في إحدى عشرة آية.

---

[1] – سورة الزمر/68

[2] – دراسات في أسلوب القرآن الكريم ،عضمية 1:/208

[3] – الروم/20

8- جاءت (إذا) الفجائية رابطة لجواب (إنْ) الشرطية في آيتين.

وكلّ ذلك سنوضحه في المبحث التالي – إن شاء الله –

المبحث الثاني: أقوال المعربين والمفسرين في (إذا) الفجائية:

لنفترض جدلاً أن نؤمن بما قاله النحاة حول(إذا) الفجائية، من أنها ظرف زمان أو مكان كما ذكرنا عند بعض النحاة ورجحنا بأنها حرفية مستدلين بأدلة قد أسلفنا بذكرها، فهل نجد في السياق القرآني ما يؤيد ذلك؟ هذا ما نبتغيه من هذا المبحث، ولكن ضمن أطر محددة ومنهج موحد.

إنّ القراءة الأولى لـــ(إذا) الفجائية في القرآن الكريم تنبئنا عن صحة ما افترضناه، فلقد وردت (إذا) الفجائية ضمن سياق واضح بيّن وتركيب نحويّ معروف، كلّ ذلك سيكون ظاهراً خلال استعراضنا للآيات، وتتبعنا أقوال المعربين والمفسرين فيها، ولقد شكلت الظواهر التي ذكرناها من مجيء الخبر مفرداً وجملة اسمية أو فعلية أو شبه جملة عند قراءتنا للجدول السابق مدخلاً قوياً لأهم مباحث هذا الفصل وضمن المنهج الذي ارتضيناه لأنفسنا وهو على النحو الآتي:

أولاً: مجيء الخبر مفرداً ومصرحاً به في تسعة عشر موضعاً:

1- قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام آية/44

<u>نوع الخبر</u>: مفرد

<u>السياق</u> :(إذا) الفجائية في جواب الشرط لـــ(إذا) الشرطية مقترنة بالفاء

إنّ المتأمل لأقوال المعربين والمفسرين في هذه الآية يجد أن (إذا) الأولى ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط خافض لشرطه منصوب بجوابه، (الفاء) في قوله (فإذا هم مبلسون) عاطفة وفيها معنى السببية حيث ربطت المسبب وهو الإبلاس بالأخذ المباغت و(إذا) الثانية فجائية وهي حرف على رأي الاخفش، وظرف مكان على رأي سيبويه[1]والمبرد متعلق بـــ(مبلسون)، و(هم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، و(مبلسون) خبره[2] مرفوع بالواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، وجملة (فرحوا) في محل جر مضاف اليه بعد (اذا) الشرطية وجملة (أوتوا) لا محلّ لهل من الإعراب صلة موصول (ما الثانية) وجملة (أخذناهم) لا محلّ لهل من الإعراب جواب الشرط غير الجازم، وجملة (هم مبلسون) لا محلّ لهل من الإعراب معطوفة على جملة الجواب[3] وقيل: مستأنفة[4]

ومن خلال تتبعنا لأقوال المعربين والمفسرين في الآية، اتضح لنا أنّ كلاً من محيي الدين درويش ومحمود صافي قد اتفقا على أنّ (اذا) الفجائية حرف حيث قال: "فـــ(إذا) الفاء عاطفة و(اذا) فجائية وهي حرف على ما اخترناه و(هم) مبتدأ، و(مبلسون)خبره والجملة استئنافية"[5]، ثمّ أشار الى آراء النحاة فقال (إذا) الفجائية فيها ثلاثة مذاهب:

---

[1] – التحرير والتنوير لابن عاشور:131/7

[2] – إعراب القرآن للدعاس: 303/1

[3] – الجدول في إعراب القرآن محمود صافي: 145/7

[4] – انظر: رقم (5) من الحاشية

[5] – إعراب القرآن الكريم وبيانه محيي الدين درويش: 115/3–116،أيضاً الجدول في إعراب القرآن محمود صافي: 145/7

1- مذهب سيبويه: وهو أنها ظرف مكان أو زمان.

2- مذهب جماعة آخرين من البصريين: وهو أنها ظرف زمان.

وفي الحالين تتعلق بالخبر وهو قوله: مبلسون

3- مذهب الكوفيين: وهو أنها حرف فلا تتعلق بشيء وهذا ما اخترناه "[1]

أمّا في البحر المحيط فقد مال إلى أنّ اذا الفجائية ظرف مكان حيث يقول:" وإذا هي الفجائية وهي حرف على مذهب الكوفيين وظرف مكان، ونسب إلى سيبويه وظرف زمان وهو مذهب الرياشي والعامل فيها إذا قلنا بظرفيتها هو خبر المبتدأ أي، ففي ذلك المكان(هُمْ مُّبْلِسُونَ) أي: مكان إقامتهم وذلك الزمان هُمْ مُّبْلِسُونَ"[2] وقد صرح بذلك أيضاً القمي النيسابوري عندما قال: "(إذا) هنا للمفاجأة؛ وهي ظرف مكان و(هم) مبتدأ، و(مبلسون) خبره وهو العمل في (إذا) الفجائية"[3] والملاحظ هنا أنه أعمل الخبر في (إذا) الفجائية على اعتبار الظرفية المكانية، والمبلس: الباهت الحزين، الآيس من الخير لشدة ما نزل به من البلاء.

ممّا سبق لوحظ أنّ كلاً من محيي الدين درويش والدعاس ومحمود صافي وهم من المعربين المشهورين يرجحون حرفية (إذا) الفجائية كما أنّهم اتفقوا على أنّ ما بعدها مبتدأ وخبر، واتفق محيي الدين درويش ومحمود صافي على أنّ الفاء السابقة لـــ(اذا) الفجائية عاطفة، كما أنهما قاما بحملها على السببية وهذا يعني أنّ هنالك اختلافاً بين الفاء و(إذا) الفجائية في المدلول كما أشرنا.

2- قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ الأعراف /107

<u>نوع الخبر</u> : مفرد

<u>السياق</u>: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم

قال أبو حيان في تفسير الآية: "قال ابن عطية (وإذا) ظرف مكان في هذا الموضع عند المبرّد من حيث كانت خبراً عن جثة، والصحيح الذي عليه شيوخنا أنها ظرف مكان كما قاله المبرد وهو المنسوب إلى سيبويه وقوله من حيث كانت خبراً عن جثة ليست في هذا المكان خبراً عن جثة بل خبر هي قوله (ثعبان) ولو قلت (فإذا هي) لم يكن كلاماً، وينبغي أن يحمل كلامه من حيث كانت خبراً عن جثة على مثل خرجت فإذا السبع،على تأويل من جعلها ظرف مكان، وما ذكره من أن الصحيح الذي عليه الناس أنها ظرف زمان هو مذهب الرّياشي ونسب أيضاً إلى سيبويه ومذهب الكوفيين أن إذا الفجائية حرف لا اسم"[4]، وفي إعراب القرآن للدعاس (اذا) للفجائية والفاء عاطفة ولم يذكر بأنها مؤكدة، حيث جاء قوله: "(فاذا) اذا الفجائية والفاء عاطفة (هي) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، (ثعبان) خبر، (مبين) صفة والجملة معطوفة"[5] وفي الجدول في إعراب القرآن الفاء عاطفة رابطة فيها معنى السببية و(اذا) فجائية حرف لمجرد الربط، يقول محمود صافي: "الفاء عاطفة لربط المسبب بالسبب وهذه الفاء زائدة لازمة عند

---

[1] – إعراب القرآن الكريم وبيانه محيي الدين درويش: 3/115-116

[2] – البحر المحيط لأبي حيان 4/134

[3] – غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: 3/79

[4] – البحر المحيط:4/375

[5] – اعراب القرآن الكريم : للدعاس ورفاقه 1/284

الفارسي والمازني ... وبعضهم يجعلها للسببية المحضة دون عطف، (اذا) فجائية وهي على القول المشهور حرف يأتي لمجرد الربط...(هي) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، (ثعبان) خبر مرفوع، (مبين) نعت لثعبان مرفوع وجملة (هي ثعبان) لا محل لها معطوفة على جملة ألقى"[1] والمفاجأة واضحة عندما كانت قناعات فرعون أن لم يأت بآية بيّنة وذلك مستخلص من الآيات السابقة على نحو ما جاء في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾[2]، قال أبو حيان: "ويحتمل أن يكون ذلك على الاختبار، ويحتمل أن يكون على سبيل التعجيز "[3]، فلما ألقى موسى عصاه وتحولت الى ثعبان عظيم فاغراً فاه، يلقف كل ما صنعوا، هاله ما رأى من عظمة الموقف ففزع وهرب وبهت من سحر الناس من قوم فرعون وأُلقى السحرة ساجدين، وقيل: وبدأ بالعصا دون سائر المعجزات؛ لأنها تحتوي على معجزات كثيرة منها: انقلابها ثعباناً، وضرب بها الحجر فانفجر عيوناً، ومحاربة اللصوص والسباع حينما كان يهش بها على غنمه...الخ[4]

3- قال تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ الأعراف /108

<u>نوع الخبر</u>: مفرد

<u>السياق</u>: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم.

هذه آية أخرى من الآيات التي تمتع بها نبي الله – موسى– في مواجهة فرعون، جاء في التحرير والتنوير: "... والنزع سلّ الشيء مما يحيط به، ومنه نزع اللباس، ونزع الدّلو من البئر، ونزع يده إخراجها من القميص، فلذلك استغنى عن ذكر المنزوع منه لظهوره، أي: أخرج يده من جيب قميصه، ودلّت (إذا) المفاجأة على سرعة انقلاب لون يده بياضاً ... ومعنى للناظرين، أنّ بياضها ممّا يقصده الناظرون لأعجوبته، وكان لون جلد موسى السمّرة ...وهذا يفيد أنّ بياضها كان واضحاً بيّناً مخالفاً لون جلده"[5]

4- قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الأعراف/201

<u>نوع الخبر</u>: مفرد

<u>السياق</u>: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الإسمية المؤكدة بـــ(إنّ).

الفاء عاطفة، و(اذا) فجائية، و(هم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (مبصرون) خبر وجملة (تذكروا) لا محلّ لها جواب شرط غير جازم، وجملة الشرط بشطريها في محلّ خبر(إنّ) وجملة (هم مبصرون) لا محلّ لها من الإعراب[6]، جاء في التنوير: "والفاء لتفريغ الإبصار على التذكر، وأكد معنى الفاء التعقيب بـــ(إذا) الفجائية الدالة على حصول مضمون جملتها دفعة بدون تريث، أي: تذكروا تذكر ذوي عزم فلم تتريث نفوسهم أن تبين لها الحق الوازع

[1] – الجدول في إعراب القرآن لصافي:29/9، أيضاً: إعراب القرآن الكريم وبيانه :421/3–423

[2] – سورة الاعراف/106

[3] – البحر المحيط : 413/5

[4] – المرجع السابق الصفحة نفسها

[5] – التحرير والتنوير: 124/19

[6] – الجدول في إعراب القرآن: 160/9، أيضاً : إعراب القرآن وبيانه: 520/3

عن العمل بالخواطر الشيطانية فابتعدت عنها وتمسّكت بالحق وعملت تذكرت، فاذا هم ثابتون"[1]، والمعنى أي: فجأة هم مهتدون ناجون من تضليل الشيطان؛ لأنّه أراد إضلالهم فسلموا من ذلك، ووصفهم باسم الفاعل دون الفعل للدلالة على أنّ الإبصار ثابت لهم من قبل، وليس شيئاً متجدداً، ولذلك أخبر عنه بالجملة الاسمية الدّالة على الدوام والثبات[2]

5- قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ سورة النحل/4

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم

جاء في إعراب القرآن وبيانه عند حديثه على الآية كلام فيه دلالة حيث يقول :" والمجاز المرسل في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾؛لأنّ الفاء تدلّ على التعقيب وكونه خصيماً مبيناً لا يكون عقب خلقه من نطفة، ولكنه إشارة الى ما تؤول اليه حاله فهو مجاز مرسل والعلاقة باعتبار ما سيكون، ومنه قوله تعالى:﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[3]، أي: عنباً سيؤول إلى خمر[4]، ونجد كثيراً من العلماء يميلون الى هذا الطرح، وقد اتفقوا على أنّ (إذا) للمفاجأة وأنّ المفاجأة لم تكن وليدة الخلق من نطفة حيث لم تقع منه مخاصمة وقت ذاك، إلا بعد تطور أحوالها ويصبح هذا المخلوق إنساناً يأبى الحق ويرفضه، في وقت كان الناظر إليه يتوقع الاعتراف منه بوحدانية خالقه وكرمه عليه وبقدرته سبحانه وتعالى على خلقه في أحسن صورة، فإذا هو مشرك مجادل منكر للبعث كافر بأنعم الله عليه[5]، فاجأ بما لم يكن مترقّباً منه، ويؤيد ذلك ما جاء من آيات: قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[6]، وقوله تعالى:﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[7]، قال أبو حيان معلقاً على قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾:" وانما اعتقب قوله (فإذا هو خصيم مبين) الوصف الذي آل اليه من التميز والادراك الذ يتأتى معه الخصام أي: فاذا هو بعد ما كان نطفة رجلٌ متميز منطيق قادر على الخصام ..."[8]، جاء في أضواء البيان[9]: أظهر القولين فيه: هو ذمٌّ للإنسان المذكور والمعنى خلقناه ليعبدنا ويطيع ففاجأ بالخصومة والتكذيب، والخصيم: صيغة مبالغة،أي: شديد الخصومة وقيل: الخصيم المخاصم، والمبين، أيّ: بيّن الخصومة.

---

[1] – التنوير والتحوير: 232/9

[2] – المرجع السابق الصفحة نفسها

[3] – سورة يوسف/36

[4] – البحر المحيط:47/5،دراسات لأسلوب القرآن ،عضيمة:211/1

[5] – الجدول في إعراب القرآن:358/16،إعراب القرآن وبيانه: 157/6، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور:258/16

[6] – سورة ياسين/79،78،77

[7] – سورة مريم /67،66

[8] – الحر المحيط لأبي حيان:65/9

[9] – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الشنقيطي: دار الفكر، بيروت – لبنان 1415 هـ– 1995 م

6- قال تعالى:﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ طه/20

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم

وهذه آية أخرى من الآيات التي تمتع بها نبي الله – موسى- في مواجهة فرعون جاء في الجدول: "الفاء عاطفة في الموضعين"[1]، وفي التبيان" و(إذا) للمفاجأة ظرف مكان فالعامل فيها تسعى أو محذوف"[2]، وفي إعراب القرآن للدعاس: "(فَإِذا) الفاء عاطفة وإذا الفجائية ظرف زمان (هِيَ حَيَّةٌ) مبتدأ وخبر والجملة معطوفة (تَسْعى) مضارع فاعله مستتر والجملة صفة لحية"[3]، ولعلّ المفاجأة حاصلة من تحوّل العصا إلى حية تسعى- تشمي وتنتقل من مكان الى مكان، تلقم الحجر والشجر وقد جاء في أوصافها الأشياء الكثيرة ذكرها المفسرون في كتبهم ... والناظر في كتب المفسرين يدرك معنى ما قاله المفسرون من الالقاء هنا كان غرضه التدريب هدفه طمأنه موسى –عليه السلام- حتى اذا ما باشر الالقاء أمام فرعون باشره وهو على يقين بأنّ العصا تستجيب له وستنقلب الى حية بمجرد الالقاء[4].

7- قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء/18

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل المضارع المبني للمعلوم المسبوق بحرف الاضراب (بل)

جاء في الجدول: "الفاء عاطفة في الموضعين، (إذا) الفجائية (هو) مبتدأ، (زاهق) خبر المبتدأ وجملة (هو زاهق) معطوفة لا محلّ لها من الاعراب معطوفة على جملة (يدمغه)[5]، والمفاجأة حاصلة من سرعة ذهاب الباطل فكأنما الحق قذيفة تنطلق بسرعة نحو الباطل فتهوي عليه فتهشمه فيزول بسرعة، كأنه لم يكن موجوداً، قال الألوسي: "وفي(اذا) الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال السرعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنّه زاهق من الأصل"[6]وفي تفسير أبو السعود:"(فاذا هو زاهق) أي: ذاهب بالكلية"[7] أي: متلاشٍ من أصله.

8- قال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الأنبياء/97،96

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (اذا) الشرطية.

جاء في الجدول: "(إذا) ظرف للزمن المستقبل متضمّن معنى الشرط متعلّق بمضمون الجواب، أي: فاجأهم شخوص أبصار الذين كفروا...(الفاء) رابطة لجواب الشرط، و(إذا) – أي: الثانية – فجائية لتأكيد ربط الجواب (هي)

[1] – الجدول في إعراب القرآن :358/16

[2] – التبيان في إعراب القرآن:888/2

[3]– إعراب القرآن للدعاس وآخرون :256/2

[4] – الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي):11 /190، أيضا تفسير الشعرواي:ص3823

[5] إعراب القرآن وبيانه، درويش:294/6، الجدول في إعراب القرآن:14/17

[6] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين: محمود الألوسي:21/9

[7] – تفسير أبوالسعود:60/6

ضمير الشأن مبتدأ مرفوع (شاخصة) خبر مقدم مرفوع (أبصار) مبتدأ مؤخر مرفوع، وجملة (هي شاخصة أبصار...) لا محل لها جواب الشرط (إذا) وجملة: (شاخصة أبصار...) في محل خبر المبتدأ (هي)"[1]

وعند العكبري "العامل في (اذا) الفجائية هو (شاخصة)..." وهذا يعني أنه أعمل الخبر وهذا لا يكون إلا إذا عدّها ظرف مكان وهو ما يرجحه في أغلب أقواله[2]، جاء في الكشاف:" (اذا) للمفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى:﴿ إذا هم يقنطون﴾[3]، فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، وإنّما احتيج لهذا التأكيد؛ لأن الشرط يحصل في آخر أيام الدنيا والجزاء يحصل يوم القيامة .. و(هي) مبتدأ، وهي ضمير مبهم توضحه الأبصار وتفسره (شاخصة)"[4]، وفي اللباب لابن عادل:" وفي جواب (إذَا) –يعني(اذا) الأولى، أي: الشرطية – أوجه: أحدها :أنه محذوف، فقدره أبو إسحاق : قالوا يا ويلنا، وقدره غيره ، فحينئذ يبعثون ... والثاني :أنَّ جوابها الفاء في قوله: (فَإِذَا هِيَ) قاله الحوفي والزمخشري وابن عطية ، فقال الزمخشري: و(إذا)هي للمفاجأة .. قوله:﴿ فإذا هي شاخصة أبصار الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (إذا) هنا للمفاجأة" [5]

9- قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ المؤمنون/77

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إذا) الشرطية.

لقد سبق أن أشرنا الى هذه الآية من قبل في سورة الأنعام[6]

10- قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ النور/48

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إذا) الشرطية.

إنّ المتأمل في الآية يجد أنّ (إذا) حرف فجاءة (فريق) مبتدأ مرفوع (منهم) نعت لفريق متعلق به (معرضون) خبر مرفوع وجملة (فريق منهم معرضون) لا محلّ لها جواب شرط غير جازم ، جاء في إعراب القرآن وبيانه: "(إذا) فجائية، وقامت مقام الفاء في ربط الجواب بشرطه وهو(إذا) الأولى، و(فريق) مبتدأ، و(منهم) صفة وهي التي سوّغت مجيء المبتدأ نكرة و(معرضون) خبر المبتدأ (فريق) "[7]، وجاء في التحرير والتنوير: "وقع حرف(إذا) المفاجأة في جواب (إذا) الشرطية لإفادة مبادرتهم بالإعراض دون تريث؛ لأنهم قد أيقنوا من قبل بعدالة الرسول – صلى الله عليه وسلم– وأيقنوا بأن الباطل في جانبهم فلم يترددوا في الإعراض"[8]

---

[1] – الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي :70/17

[2] – التبيان في إعراب القرآن :72/2

[3] – سورة الروم /36

[4] – تفسير الكشاف، الزمخشري:153/3

[5]– اللباب في علوم الكتاب لابن عادل:598/13

[6] – انظر: ص16 من البحث

[7] – إعراب القرآن وبيانه: 360/6

[8] – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: 270/18

ومعنى المفاجأة مستفاد من الجو العام للنص حيث أنّهم بمجرد دعوتهم إلى الحق بادروا بالنفور والإعراض دون تدبر أو تريث أو تمهل.

11- قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ الشعراء/32

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم.

لقد سبق أن أشرنا إلى هذه الآية من قبل في سورة الاعراف[1]

12- قال تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ الشعراء/33

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم .

لقد سبق أن أشرنا إلى هذه الآية من قبل في سورة الأعراف[2]

13- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ النمل/45

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم

جاء في اللباب لابن عادل: "قوله: (فاذا هم فريقان) تقدم الكلام في (إذا) الفجائية والمراد بالفريقين قوم صالح، وأنّهم انقسموا فريقين: مؤمن وكافر... و(يختصمون) صفة لــ(فريقان)"[3]، جاء في الجدول: "(الفاء) عاطفة (إذا) حرف للفجاءة، وجملة: (هم فريقان) لا محلّ لها معطوفة على جواب القسم، وجملة: (يختصمون) في محلّ رفع نعت لــ(فريقان)[4]وفي إعراب القرآن وبيانه:"﴿ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفاء عاطفة و(إذا) فجائية تقدم القول فيها، و(هم) مبتدأ و(فريقان) خبر وجملة (يختصمون) نعت لــ(فريقان)[5]، والمفاجأة حاصلة من السياق العام للنص فبعد إرسال نبي الله صالح لهم ودعوته لهم فاذا هم فريقان: مؤمن وكافر.

14- قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ الروم/20

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الاسمية وقد سبقت (اذا) الفجائية بـــحرف العطف (ثمّ)[6]

جاء في التحرير والتنوير: "فعلموا أنّهم مخلوقون من تراب؛ فبذلك استقام جعل التكوين من التراب آية للناس، أي: علامة على عظيم القدرة، مع كونه أمراً خفياً... وبهذا التأويل أن يكون خلقكم من تراب: خلق أصلكم وهو

---

[1] – انظر: ص16 من البحث

[2] – انظر: ص18 من البحث

[3] – اللباب لابن عادل: 333/12

[4] – الجدول في إعراب القرآن: 178/19

[5] – إعراب القرآن وبيانه: 221/7

[6] – تقدم (اذا) الفجائية حرفان من حروف العطف هما: (ثمّ) في هذه الآية و(الفاء) في مواضع تزيد على العشرين انظر: دراسات في أسلوب القرآن، عضيمة: 208/1

آدم... وصُدّرت الجملة بحرف المفاجأة؛ لأنّ الكون يظهر بشراً يظهر فجأة بوضع الاجنّة أو خروج الفراخ من البيض وما بين ذلك من الاطوار التي اقتضاها حرف المهلة هي أطوار خفية غير مشاهدة، فكان الجمع بين حرف المهلة وحرف المفاجأة تنبيهاً على ذلك التطور العجيب والمفاجأة حاصلة من هذا التطور العجيب، وتلك الاطوار الخفية غير المشاهدة التي تشكل في النهاية مجريات المخلوق البشري.

15- قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ يس/29

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل الماضي الناقص المؤكدة بأسلوب الحصر

جاء في إعراب القرآن وبيانه: "(إن) نافية و(كانت) فعل ماضٍ ناقص واسمها مضمر، والتقدير: ما كانت الا صيحة واحدة و(الفاء) عاطفة و(اذا) فجائية (حرف) و(هم) مبتدأ و(خامدون) خبر، والتشبيه البليغ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ شبههم بالنار الخامدة التي صارت رماداً –لا حياة فيها– على حد قول لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا إذ هو ساطع[1]

أي: ليس حال المرء وحياته وبهجته، ثم موته وفناؤه بعد ذلك، إلا مثل حال شهاب النار وضوئه يصير رماداً بعد إضاءته"[2]، وفي التبيان: "(إن كانت الا صيحة) اسم كان مضمر أي: ما كانت الصيحة الا صيحة، والغرض وصفها بالاتحاد و(إذا) للمفاجأة..."[3] أمّا في التحرير والتنوير: "مجيء (إذا) الفجائية في الجملة المفزعة على إن كانت إلّا صيحة واحدة لإفادة سرعة الخمود إليهم بتلك الصيحة وهذه الصيحة الصاعقة...الخ"[4]

16- قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ يس/37

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الاسمية المتبوعة بجملة حالية

الفاء عاطفة و(إذا) فجائية وهي حرف و(هم) مبتدأ و(مظلمون) خبر وجملة (فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) معطوفة على جملة(نسلخ) في محل نصب[5]، والسلخ: الفصل أو الكشط، جاء في المعاجم: "سلخ يسلخ من باب نصر ينصر ... وسلخ الخروف أو الإهاب كشط جلده ...وسلخت المرأة درعها نزعته"[6] وفي التفسير المنير: "﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ﴾ أي: وعلامة دالة لهم على القدرة العظيمة وتوحيد اللّه ووجوب ألوهيته. نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ نفصل منه النهار ونزيله عنه، والسلخ: إذهاب الضوء، ومجيء الظلمة،﴿ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام مفاجأة وبغتة"[7] وفي تفسير القرطبي:"

---

[1] – الديوان: ص169

[2] – إعراب القرآن وبيانه: 191/8

[3] – التبيان في إعراب القرآن: 1082/2

[4] – التحرير والتنوير: 6/23

[5] – وفي الجدول في إعراب القرآن: 11/23، لا محل لها معطوفة على جملة (نسلخ) استئناف بياني

[6] – تاج العروس للزبيدي: 1815/1

[7] – التفسير المنير للزحيلي: 11/23

والمعنى نسلخ عنه ضياء النهار. ﴿ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي في ظلمه، لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فإذا خرج منه أظلم"[1] والمفاجأة حاصلة من السياق

17- قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس/53

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الاسمية المحصورة بـــ(إنْ) النافية و(إلّا).

جاء في إعراب القرآن للدعاس: "(إِنْ كانَتْ) إن نافية: و(كانت) ماض ناقص واسمه مستتر تقديره الصيحة والجملة استئنافية لا محل لها (إِلَّا) حرف حصر، (صَيْحَةً) خبر كانت، (واحِدَةً) صفة، (فَإِذا) (الفاء) حرف عطف إذا فجائية (هُمْ) مبتدأ،(جَمِيعٌ) خبر والجملة معطوفة على ما قبلها (لَدَيْنا) ظرف مكان،(مُحْضَرُونَ): خبر ثان"[2]، والمفاجأة حاصلة من السياق، والجو العام للنص وهو الدّلالة على سرعة البعث، وانه أمر هيّن له – سبحانه– جاء في التفسير المنير: أوضح اللّه تعالى سرعة البعث فقال: ﴿إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ﴾ أي ما كانت النفخة إلا صيحة واحدة فإذا هم أحياء مجموعون لدينا بسرعة للحساب والجزاء ، كما قال تعالى:﴿ فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ ، فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[3] وقال – عز وجل–: ﴿ وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[4][5]

18- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ يس/77

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الفعلية المنفية المسبوقة بـــ(أداة) استفهام تفيد التقرير

لقد سبق أن أشرنا إلى هذه الآية من قبل في سورة النحل[6]

19- قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ الزمر/68

نوع الخبر: مفرد

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الفعلية وفعلها ماض مبنيّ للمجهول

جاءت معظم أقوال المفسرين والمعربين حول القراءة في الآية حيث قرئت الآية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ وبناءً على القراءة تتعددت الأحكام[7] جاء في تفسير اللباب لابن عادل: "(قوله: فاذا هم قيام) العامة على رفع قيام خبراً، وزيد بن عليّ نَصَبَه حالاً، وفيه حينئذ أوجه: أحدهما: أنّ الخبر (ينظرون) وهو العامل في هذه الحال أي: فاذا هم ينظرون قياماً والثاني: أنّ العامل في الحال ما عمل في (إذا) الفجائية اذا كانت ظرفاً، فإن كانت مكانية– كما قال سيبويه– فالتقدير: فبالحضرة هم قياماً، وإن كانت زمانية – كقول الرماني– فتقديره ففي ذلك الزمان هم قياماً، أي:

---

[1] – تفسير القرطبي: 26/15

[2] – إعراب القرآن للدعاس: 96/3

[3] – سورة النازعات/13–14

[4] – سورة النحل /77

[5]– التفسير المنير للزحيلي:26/23

[6] – انظر: ص22

[7] – تفسير الالوسي – روح المعاني–: 21/18 البحر المحيط: 391/9، فتح القدير للشوكاني: 303/3

وجودهم ، وانما احتيج الى المضاف في هذا الوجه؛ لأنه لا يخبر بالزمان عن الجثة والثالث: أنّ الخبر محذوف هو العامل في الحال أي: فاذا هم مبعوثون أو مجموعون قياماً"[1]، واذا جعلنا (إذا) الفجائية حرفاً كما رجحنا فالعامل في الحال إمّا (ينظرون) وإما الخبر المقدر وعليه فالفاء عاطفة، و(إذا) الفجائية لا محلّ لها و(هم) مبتدأ، و(قيام) خبر وجملة (ينظرون) خبر ثانٍ، وهناك من جعلها حالاً[2] وجملة (اذا هم قيام) لا محل لها، معطوفة على جملة (نفخ فيه)"[3]، وقراءة النصب هذه ليست متواترة، وعليه فالرفع أرجح وهو ما عليه معظم القرّاء[4]

ثانياً: مجيء الخبر جملة فعلية في أربعة وعشرين موضعاً:

1- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ النساء/77

نوع الخبر: جملة فعلية فعلها مضارع

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الفعلية وفعلها ماض مبنيّ للمجهول المسبوقة بـــ(لمّا)

جاء في الجدول في إعراب القرآن:" (إذا) فجائية لا عمل لها، (فريق) مبتدأ مرفوع، والذي سوّغ الابتداء بالنكرة كونها موصوفة بالجار(منهم)...(يخشون) مضارع مرفوع، و(الواو) فاعل وجملة (فريق منهم يخشون) لا محل لها من الإعراب جواب الشرط، وجملة (يخشون)... في محل رفع خبر المبتدأ فريق"[5]، وفي موطن آخر عدَّ (إذا) الفجائية في الآية حرفاً ويليها المبتدأ والخبر وأحياناً يليها جملة أسمية مصدرة بـــ(إنّ) نحو: إن خرجت فإذا إنّ المطر نازل، وإذا اقترنت (إذا) الفجائية بجواب شرط جازم فالجملة في محل جزم جواب الشرط نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[6] هذا هو الأرجح والأقوى عند النحاة وبعضهم اعتسف الطريق فجعلها ظرف زمان أو مكان، وأدّى ذلك إلى تأويلات وتكلفات لا طائل تحتها[7].

والذي يبدو لنا أنّ (محمد محي الدين درويش) لم يبعد كثيراً في كتابه: إعراب القرآن وبيانه عمّا جاء في الجدول، حيث يقول: "اختلفت آراء النحاة في (إذا) الفجائية فقال بعضهم ظرف مكان أو زمان وتبعهم المعربون والمفسرون، فخاضوا في متاهات، لانهاية لها، ولا طائل من خلفها... وقد آثرنا في كتابنا أن لانجزم برأي من عندنا،إلّا إذا رأينا من سبقنا ذهب إليه، نقول هذا لأنّ بعض المتنطعين تجنى علينا الغلط، وقد اشتهرت هذه المسألة في النحو وحدثت مناقشة طريفة بسببها بين سيبويه والكسائي، تجدها كاملة في مغني اللبيب، وفات هؤلاء المتناقشين وقوع ما بعدها مبتدأ وخبراً مرفوعين في القرآن كما فعل ابن يعيش وغيره من النحاة، فارجع الى بحث (إذا) الفجائية في المغني والمطولات تسمع العجب العجاب"[8].

---

[1] – تفسير اللباب لابن عادل: 452/13

[2] – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: 66/24

[3] – إعراب القرآن وبيانه: 447/8

[4] – تفسير الالوسي – روح المعاني– : 21/18 البحر المحيط: 391/9، فتح القدير للشوكاني: 303/3

[5] – الجدول في إعراب القرآن: 100/5

[6] – سورة الروم/36

[7] – الجدول في إعراب القرآن: 5/ 98–100

[8] – إعراب القرآن وبيانه: 267/2–268

أمّا معنى المفاجأة يوضحه ما جاء في تفسير أبي السعود:" وتصديرُه بإذا المفاجَأةِ لبيان مسارعتِهم إلى الخشية آثِرَ ذي أثيرٍ من غير تلعثمٍ وتردد، أي: فاجأ فريقٌ منهم أن يخشوا الكفارَ أن يقتلوهم ولعل توجيهَ التعجيبِ إلى الكل مع صدور الخشيةِ عن بعضهم للإيذان بأنه ما كان ينبغي أن يصدُر عن أحدهم ما ينافي حالتَهم الأولى"[1]، واذا رجعنا مطلع الآية وجدنا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾[2]، وجدنا طائفة من المسلمين كانوا بمكة قد أذيقوا العذاب من قبل مشركي قريش وكانوا يُلحّون على المصطفى- صلى الله عليه وسلم- في قتال المشركين فلم يأذن لهم ويأمرهم بكفّ الأيدي وإقامة الصلاة فلما هاجر الرسول الى المدينة وفرض الجهاد فإذا هم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية كما وصفتهم الآية جاء في تفسير (أبو السعود)" وأُمروا بالقتال في وقعة بدرٍ كرِهَه بعضُهم وشق ذلك عليه لكنْ لا شكّاً في الدين ولا رغبةً عنه بل نفوراً عن الإخطار بالأرواح وخوفاً من الموت بموجَب الجِبِلَّة البشريةِ"[3]

2- قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الأعراف/117

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الفعلية وفعلها ماضٍ مبنيّ للمعلوم

هذه آية من آيات نبي الله موسى التي أشرنا أليها من قبل جاء في الجدول:"(الفاء)عاطفة، و(إذا) فجائية لا محلّ لها، و(هي) ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ، و(تلقف) مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، (يأفكون) مضارع مرفوع، والواو فاعل.. جملة: (تلقف) في محلّ رفع خبر المبتدأ هي.. وجملة: (يأفكون) لا محلّ لها صلة الموصول(ما) و(تلقف) تتناول وتبتلع بسرعة، والأفك: هو قلب الشيء عن وجهه الأصلي وهو إمّا أن يكون بالقول الكاذب، وإمّا أن يكون بالفعل كالسحر، والمأفوك: المصروف عن وجهته الأصلية، جاء في تفسير(أبو السعود) للآية: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الفاء فصيحة، أي: فالقاها فصارت حيّة فإذا هي الآية، إنما حذف للإشعار بمسارعة موسى(عليه السلام) الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلاً بأمر الإلقاء، وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والأفك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد.

3- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ الأعراف/135

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (لمّا).

جاء في إعراب القرآن للدعاس: "(إذا) الفجائية، (هم) مبتدأ، و(ينكثون) خبر"[4]، أمّا في الجدول في إعراب القرآن: "(اذا) حرف مفاجأة، و(هم) مبتدأ، و(ينكثون) مضارع مرفوع و(الواو) فاعل، وجملة (هم ينكثون) لا محلَّ لها من

[1] – تفسير أبو السعود: 203/2

[2] – سورة النساء/77

[3] – تفسير(ابو السعود): 115/2، أيضاً: روح المعاني للألوسي: 83/3

[4] – إعراب القرآن الكريم للدعاس ورفاقه: 291/1

الاعراب جواب شرط غير جازم، وجملة (ينكثون) في محلّ رفع خبر(هم) ..."[1] أمّا محي الدين درويش فقال: "(إذا) الفجائية وقد تقدم أننا اخترنا الحرفية لها حرفاً، و(هم) مبتدأ، و(ينكثون) خبره، وجملة (هم ينكثون) لا محلَّ لها من الاعراب جواب شرط غير جازم، وقد استدلّ سيبويه بهذه الآية على أنّ (لمّا) حرف وجوب لوجوب، أي: رابطة لا ظرف بمعنى حين – كما زعم بعضهم– لافتقاره الى عامل فيه، ولا يحتمل اضماراً، ولا يعمل ما بعد (إذا) الفجائية فيما قبلها"[2] والمفاجأة حاصلة من النكث الذي لم يكن متوقعاً، جاء في البحر المحيط "والمعنى أنّ العذاب الذي كان مؤجلاً ويقوي هذا التأويل كون جواب لمّا جاء بـــ(اذا) الفجائية أي: فلما كشفنا عنهم العذاب المقرر عليهم فاجئوا بالنكث.."[3]

4- قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ التوبة/58

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إن) الشرطية

قال العكبري: "ما بعد (إذا) ابتداء وخبر والعامل في(إذا) يسخطون"[4]، وبهذا فإن العكبري أعمل الخبر في (إذا) الفجائية، وهذا يعني أنه اعتبرها ظرفاً وليس حرفاً، وقد خالف الدعاس ورفاقه قول العكبري فعاملها على أنها حرف، ولم يذكر إعمال الخبر فيها: "(اذا) الفجائية، (هم) مبتدأ، وجملة (يسخطون) خبر والجملة (إذا هم يسخطون) في محل جزم جواب الشرط مقترنة بـــ(اذا) الفجائية"[5]، أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية فقد جاء في التحرير والتنوير: "دلّت(اذا) الفجائية على أنّ سخطهم أمر يفاجئ العاقل حين يشهده؛ لأنه يكون في غير مظنة السخط، وشأن الامور المفاجئة أن تكون غريبة في بابها"[6]

5- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يونس/23

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (لمّا)

يجمع المعربون على أنّ (لمّا) في هذه الآية ظرفية حينية، وأنّ ما بعدها مبتدأ وخبر، جاء في إعراب القرآن للدعاس:" فلمّا الفاء استئنافية، و(لمّا) الحينية ظرف زمان، (انجاهم) فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدر... والهاء مفعوله، والجملة مضاف إليه، و(إذا) الفجائية و(هم) مبتدأ، والجملة جواب (لمّا) لا محلّ لها من الإعراب (يبغون) مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والجملة خبر..."[7]، أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية فقد استخلصناه من أقوال المفسرين، حيث جاء في البحر المحيط: "والجواب بـــ(إذا) الفجائية دليل على أنه لم يتأخر بغيهم عن انجائهم"[8]،

---

[1] – الجدول في إعراب القرآن: 58/9

[2] – إعراب القرآن وبيانه: 442/3

[3] – البحر المحيط: 135/5

[4] – التبيان في إعراب القرآن: 5/2

[5] – إعراب القرآن الكريم، الدعاس ورفاقه: 463/1

[6] – التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 232/10

[7] – 32/2

[8] – 35/6

أمّا في تفسير البيضاوي: "(إذا هم يبغون في الارض) فاجئوا الفساد فيها، وسارعوا إلى ما كانوا عليه"[1]، أمّا عند الشوكاني: "(إذا هم يبغون) هي الفجائية، فاجئوا البغي في الارض بغير الحق"[2] أمّا في التحرير والتنوير: "أتى بحرف (إذا) الفجائية في جواب (لمّا) للدلالة على تعجيلهم بالبغي في الارض عقب النجاة"[3]

6- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ الانبياء/13

نوع الخبر: جملة فعلية ، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (لمّا)

جاء في إعراب القرآن للدعاس: "(فَلَمَّا) الفاء عاطفة، و(لما) الحينية ظرف زمان (أَحَسُّوا) ماض وفاعله (بَأْسَنا) مفعول به (إِذا) الفجائية (هُمْ) مبتدأ...(يَرْكُضُونَ) مضارع وفاعله والجملة في محل رفع خبرهم"[4] وفي التبيان في إعراب القرآن: "(هم) مبتدأ و(يركضون) خبر، وهو العامل في (إذا) أي: الخبر"[5]

أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية نتركه لأقوال المفسرين، ودلالات الآيات متعاونة حيث جاء قوله تعالى:﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ* فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾[6] جاء في تفسير البيضاوي: "﴿إذا هم منها يركضون﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين من فرط إسراعهم"[7]، أمّا في التحرير والتنوير: "دخلت(إذا) الفجائية في جواب (لمّا) للدلالة على أنهم ابتدروا الهروب من شدة الاحساس بالبأس تصويراً لشدة الفزع وليست(إذا) الفجائية برابطة للجواب للشرط؛لأنّ هذا الجواب لا يحتاج الى رابط، و(اذا) الفجائية قد رابطة للجواب خلفاً من الفاء الرابطة، حيث يحتاج الى رابط؛ لأنّ معنى المفاجأة يصلح للربط ولا يلازمه"[8]

7- قال تعالى:﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ المؤمنون/64

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إذا) الشرطية

جاء في التحرير والتنوير: "(إذا) الاولى ظرفية فيها معنى الشرط ؛ فذلك كان الاصل والغالب فيها أن تدلّ على ظرف مستقبل و(اذا) الثانية فجائية داخلة على جواب شرط (اذا) الشرطية"[9]، أمّا في إعراب القرآن وبيانه: "(إذا) الثانية حرف مفاجأة قائمة مقام فاء الجزاء في الربط، والجملة بعدها جواب (إذا) الأولى لا محلّ لها كأنه قيل: فهم

[1] – تفسير البيضاوي: 109/3

[2] – فتح القدير للشوكاني: 495/2

[3] – 140/11

[4] – إعراب القرآن الكريم دعاس: 2 /282

[5] – 69/2

[6] – سورة الأنبياء: 11–12

[7] – تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 48/4

[8] – 26–25/17

[9] – 18/18

يجأرون"[1] أمّا في الجدول: "(إذا) فجائيّة رابطة لجواب الشرط... وجملة: (هم يجأرون) لا محلّ لها جواب شرط غير جازم، وجملة: (يجأرون) في محلّ رفع خبر المبتدأ هم"[2].

أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية فقد جاء في فتح القدير للشوكاني:" وجملة (اذا هم يجأرون) جواب الشرط، و(اذا) هي الفجائية ، والمعنى: حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب، فاجئوا بالصراخ...الخ"[3]

8- قال تعالى: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ العنكبوت/65

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (لمّا)

لم تبعد هذه الآية عن سابقتها في المفهوم النحوي فقد جاء في إعراب القرآن وبيانه: "﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الفاء) عاطفة و(لما) ظرفية حينية أو رابطة، و(نجاهم) فعل وفاعل مستتر ومفعول به والى البر جار ومجرور متعلقان بـــ(نجاهم) و(إذا) فجائية، وهي مع مدخولها جملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب لما و(هم) مبتدأ، وجملة (يشركون) خبر (هم)"[4]، أمّا في الجدول: "(الفاء) عاطفة (لمّا) ظرف بمعنى حين متضمّن معنى الشرط في محلّ نصب متعلّق بمضمون الجواب (إلى البرّ) متعلّق بـــ(نجّاهم) (إذا) فجائيّة... وجملة: (نجّاهم) في محلّ جرّ مضاف إليه وجملة: (هم يشركون) لا محلّ لها جواب شرط غير جازم، وجملة: (يشركون) في محلّ رفع خبر المبتدأ (هم)"[5].

أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية نتركه نأخذه من أقوال المفسرين، ودلالات الآيات متعاونة قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فهم ما أن أطمأنوا من الوصول إلى البر سارعوا الى الاشراك بالله، جاء في تفسير البيضاوي: "فاجئوا المعاودة الى الشرك"[6] وعند أبي السعود: "أي: فاجئوا المعاودة الى الشرك، أو يفاجئون الإشراك، ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التي حقها أن يشكروها"[7]

9- قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ الروم /25

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إذا) الشرطية

قال الالوسي في تعليقه على الآية: "﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ (إذا) الأولى شرطية والثانية فجائية نائبة مناب الفاء في الجزاء لاشتراكهما في التعقيب والجملة الشرطية قيل: معطوفة على (أن تقوم) على تأويل مفرد كأنه قيل: ومن آياته قيام السماء والأرض بأمره ثم خروجكم من قبوركم بسرعة إذا دعاكم".

---

[1] – 526/6

[2] – 191/18–192، أيضاً : إعراب القرآن الكريم، للدعاس ورفاقه: 344/2

[3] – 580/3، أيضاً: روح المعاني للالوسي: 248/9

[4] – 459/7

[5] – 18/21

[6] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 199/4

[7] – تفسير(أبو السعود): 47/7–48

أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية نأخذه من الجوّ العام للنص، ودلالات الآيات متعاونة فعند أبي السعود والشوكاني: "أي: ثم بعد موتكم ومصيركم في القبور، إذا دعاكم دعوة واحدة فاجأتم الخروج منها بسرعة، من غير تلبث ولا توقف كما يجيب المدعو المطيع دعوة الداعي المطاع..."[1]، وللشعراوي في خواطره قول طيب حول دلالة (إذا) الفجائية في النص القرآني: "يقول – سبحانه– (إذا أنتم تخرجون) أي: حين يسمع الموتى هذه الصيحة يهبون جميعاً أحياء فـ(إذا) هنا فجائية الدالة على المفاجأة، وهذا هو الفارق بين ميلاد الدنيا وميلاد الآخرة، ميلاد الدنيا لم يكن فجأة، بل على مهل فالمرأة قبل أن تلد تشاهد حملها عدة أشهر، وتعاني آلام الحمل عدة أشهر فلا مفاجأة إذاً..."[2] وقد أفادنا الطاهر ابن عاشور دلالات أخرى لها مكانتها في الموضع، وتصلح لكلِّ ما جاء الخبر فيه جملة فعلية حيث يقول:" _وجيء بخبر المبتدأ جملة فعلية لإفادة التقوّي الحاصل من تحمل الفعل ضمير المبتدأ؛ فكأنه أعيد ذكره كما أشار إليه – صاحب المفتاح– وجيء بالمضارع لاستحضار الصورة العجيبة في ذلك الخروج كقوله ﴿فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾.."[3]

10–قال تعالى:﴿ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ الروم /33

<u>نوع الخبر</u>: جملة فعلية، فعلها مضارع.

<u>السياق</u>: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إذا) الشرطية

قال ابن عادل: "(إذا) هي الفجائية وقعت جواب الشرط؛لأنها كالفاء في أنها للتعقيب، ولا تقع أول الكلام وقد تجامعها الفاء زائدة"[4]، وفي إعراب القرآن وبيانه "(اذا) الفجائية رابطة لجواب (اذا) الاولى بشرطها فهي تخلف الفاء في الربط"[5]، أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية نأخذه من الجوّ العام للنص، ودلالات الآيات متعاونة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ جاء عند عدد من المفسرين[6]: أي: فاجأ فريق منهم بالإشراك وهم الذين دعوه فخلصهم مما كانوا فيه، وهذا الكلام مسوق للتعجيب من أحوالهم، وما صاروا عليه من الاعتراف بوحدانية الله– سبحانه– عند نزول الشدائد والرجوع الى الشرك عند رفع ذلك عنهم، جاء في تفسير البقاعي:" دلّ – سبحانه– على شدة إسراعهم في كفران الإحسان بقوله معبراً بأداة المفاجأة (اذا فريق منهم)"[7]، وفي تفسير الوسيط: "المعنى: هم بمجرد نزول الضر بهم يلجئون الى الله –تعالى– لأزالته ثمّ اذا كشف عنهم وأحاطهم برحمته، أسرع فريق منهم بعبادة غيره"[8].

---

[1] – تفسير (أبو السعود): 58/7، فتح القدير للشوكاني: 54/4

[2] – تفسير الشعراوي: 7129/1

[3] – التحرير والتنوير: 64/11

[4] – لباب التأويل في معاني التنزيل: 412/15

[5] – 504/7

[6] – فتح القدير للشوكاني: 260/4، المحرر الوجيز لآبن عطية: 337/4 ، تفسير النسفي: 701/2

[7] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 92/15

[8] – التفسير الوسيط لطنطاوي: 86/1

11-قال تعالى:﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ الروم /36

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إن) الشرطية

قال الزمخشري: "(إذا) هي اذا المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى: "﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد...الخ"[1]، وفي إعراب القرآن وبيانه: "(إذا) الفجائية قد نابت عن الفاء في ربط الجواب بالشرط، و(هم) مبتدأ، وجملة (يقنطون) خبر وجملة (إذا هم يقنطون) في محل جزم جواب الشرط"[2]، أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية لم يخرج عن الجوّ العام للنص كباقي الآيات السابقة قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ جاء عند الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: "(وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً) أي: نعمة من مطر أو سعة أو صحة فَرِحُوا بِها وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ أي: بلاء من جدب أو ضيق أو مرض، والسبب فيها شؤم معاصيهم، قنطوا من الرحمة"[3].

12-قال تعالى:﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الروم/48

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إذا) الشرطية

جاء في الجدول: "(إذا) حرف فجاءة، وجملة(هم يستبشرون) لا محلّ لها جواب شرط غير جازم، وجملة (يستبشرون) في محل رفع خبر المبتدأ (هم)"[4]، وللرضي كلام غريب في هذه الآية حيث يقول: "يجوز أن تكون (إذا) الفجائية ظرف زمان بدلاً من (إذا) الشرطية"[5]، وهذا الكلام غير مقبول من الرضي، وكيف نقبله من عالم جليل، والأدلة لدينا متعددة من ذلك أنّ (إذا) الشرطية تدلّ على الاستقبال، و(إذا) الفجائية تدل على الحال والآنية، فالدلالة مختلفة وكبيرة، و(إذا) الشرطية تدلل على أمر متوقع في المستقبل، أمّا (إذا) الفجائية فتدلل على شيء غير متوقع، وعليه فكيف ستكون البدلية، وعند الشوكاني: "(إذا هم يستبشرون)، (اذا) هي الفجائية، أي: فاجئوا الاستبشار بمجيء المطر والاستبشار: الفرح وقيل فاجأهم الاستبشار، ولم يتأخر سرورهم"[6]

أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية لم يخرج الجوّ العام للنص قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، ولأبي السعود كلام جميل في تفسير الآية: "المعنى فاجئوا الاستبشار بمجيء الخصب .. لتفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار، بالإشارة الى تقارب زمانيهما وببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار وبشهادة(اذا) الفجائية"[7] والذي يبدو لنا أنّ الاستبشار لنزول المطر يأتي على حسب الأحوال ، فإن جاء بعد يأس

[1] – تفسير الكشاف مع الحواشي للزمخشري: 135/3

[2] – 504/7

[3] – تفسير الكشاف مع الحواشي للزمخشري: 480/3

[4] – الجدول في إعراب القرآن الكريم: 192/24

[5] – شرح الكافية: 107/2

[6] – تفسير الشوكاني: 266/4

[7] – تفسير (أبو السعود): 46/7-65

وقحط وجفاف كانت الفرحة أكبر والاستبشار أبلغ حيث يأتي المطر مفاجئاً، لا سيما أن الاستبشار ملء قلب المرء سروراً وحبوراً حتى يكون له أثر على وجهه فتنبسط أساريره ويتهلل وجهه[1].

13-قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الزمر/45

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إذا) الشرطية.

لم تبعد هذه الآية كثيراً عن سابقتها من حيث التركيب النحوي كما هو ظاهر، لكنّ الدلالة المستنبطة من هذه الآية تغاير الدلالات السابقة؛ فبينما تتحدث الآية السابقة عن الاستبشار بنزول المطر وهطول الغيث، نرى الاستبشار هنا لقوم أَبَوْا أن ينصاعوا لأمر الله، فحبهم لآلهتهم وأصنامهم طمس على قلوبهم فأعمى أبصارهم، وإن شئت فارجع الى الجو العام للآية واقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حيث رسم الله تلك الصورة القبيحة لهؤلاء النفر بعد أكل الحسد والحقد قلوبهم حنقاً على المؤمنين وارتضوا بالارتماء في أحضان الكفر فبمجرد ذكر الله –عزّ وجلّ – رأيت الهمّ والغمّ يعلو وجههم، وما يتبعه من انقباض وعبس يكسو تلك الجباه قال تعالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[2]

14-قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ الزخرف/47

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (لمّا) الشرطية.

جاء في المشكل: "(إذا) فجائية وجملة (هم منها يضحكون) جواب الشرط مع أنّ جواب (لمّا) لا يجوز اقترانه بالفاء، الجار(منها) متعلق بـــ(يضحكون)[3]، أمّا في إعراب القرآن وبيانه: "(فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ) الفاء: عاطفة على مقدر أي: فطلبوا منه الآيات الدالّة على صدقه، ولما ظرفية حينية أو رابطة... و(إذا) فجائية"[4]، ودلالة (إذا) الفجائية في الآية لم يخرج الجوّ العام للآية قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾[5]، جاء في الوسيط: "أي: فحين جاء موسى عليه السلام- إلى فرعون وملئه بآياتنا الدالة على قدرتنا سارعوا الى الضحك والسخرية بها دون تأمل أو تدبر، شأن المغرورين الجهلاء"[6]

15-قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ الزخرف/50

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (لمّا) الشرطية.

---

[1] – تاج العروس: 2514/1

[2] – سورة النحل /57

[3] – المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد الخراط: 124/1

[4] – إعراب القرآن وبيانه: 92/9

[5] – سورة الزخرف/46-47

[6] – الوسيط: 86/13

لم تخرج هذه الآية كثيراً عن سابقتها من حيث التركيب النحوي كما هو ظاهر، فقد جاءت(إذا)الفجائية واقعة في جواب (لمّا) الشرطية وجاء بعدها المبتدأ مصرحاً، والخبر جملة فعلية، شأنها شأن من سبقها في هذا التركيب، لكنّ الدلالة المستنبطة من هذه الآية تغاير التي سبقتها في الدلالة على المفاجأة، ففي الآية الأولى لمّا جاءهم نبيّ الله موسى بالآيات أخذوا يضحكون، فلما كررت الآيات وجاءتهم تترى وهم يصدّون أخذوا بالعذاب؛ لعلهم يرجعون، ولو رجعت للآية السابقة لرأيت دلالة قاطعة على خبث وسوء عقيدتهم، وإنّ في ذلك لمفاجأة، ما بعدها من مفاجأة.

16-قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ الزخرف/57

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (لمّا) الشرطية.

مثلها مثل من سبقها من جهة التركيب النحوي، إلّا أن دلالة المفاجأة جاءت من الجوّ العام للآية وهو أنّه لمّا ضُرب ابن مريم مثلاً فإذا بكفار يصدّون منه؛ لأنه يمثل المفهوم الحقيقي للفطرة الإنسانية وهو مخالف لأصحاب الاهواء الشخصية.

17-قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ طه/66

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة مقول القول.

جاء في التبيان: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَإِذَا): هي للمُفَاجأة و(حِبَالُهُمْ): مُبْتَدَأٌ، والْخَبَرُ إِذَا؛ فَعَلَى هَذَا (يُخَيَّلُ) حال، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ (يُخَيَّلُ) الْخَبَرَ"[1]، أمّا في الجدول: "(بل) للإضراب الانتقاليّ (الفاء) عاطفة (إذا) فجائيّة (حبالهم) مبتدأ مرفوع (يخيّل) مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع، (إليه) متعلّق بـــ(يخيّل)، (من سحرهم) متعلّق بـــ(يخيّل)...(يخيّل) في محلّ رفع خبر المبتدأ حبالهم، وجملة: (تسعى) في محلّ رفع خبر أنّ"[2]

أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية مأخوذة من الجوّ العام للآية جاء عند الزمخشري: "(فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ) ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي"[3]

18-قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الشعراء/45

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة الفعل الماضي المفسر بجملة مفسرة.

سبق أن أشرنا إلى هذا التركيب النحوي ودلالة الآية على المفاجأة عند حديثنا عن الآية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ سورة الأعراف/117 فهما ذوا دلالة واحدة[4].

---

[1] – التبيان في إعراب القرآن العكبري: 896/2

[2] – الجدول في إعراب القرآن: 387/16-388

[3] – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت:74/3

[4] – انظر: ص29 من البحث

19-قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ القصص/18

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق العطف جملة الفعل الماضي الناقص.

جاء في التبيان: "و(إِذَا): لِلْمُفَاجَأَة، وَمَا بَعْدَهَا مُبْتَدَأٌ، و(يَسْتَصْرِخُهُ) الْخَبَرُ، أَوْ حَالٌ؛ وَالْخَبَرُ (إِذَا)"[1]وفي إعراب القرآن وبيانه: "(فَإِذَا) الفاء حرف عطف (إذا) الفجائية،(الَّذِي) اسم الموصول مبتدأ (اسْتَنْصَرَهُ ماض ومفعوله والفاعل مستتر، والجملة صلة لا محل لها (بِالْأَمْس) متعلقان بالفعل (يَسْتَصْرِخُهُ) مضارع ومفعوله والفاعل مستتر والجملة خبر المبتدأ والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها"[2]، وفي التحرير والتنوير: "(إذا) المفاجأة، أي: ففاجأه أنّ الذي استنصره بالأمس يستنصره اليوم"[3]، ودلالة (إذا) على المفاجأة مأخوذ من الجو العام للنص للآية: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾

20-قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يس/51

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق العطف على جملة الفعل الماضي المبني للمجهول.

جاء في إعراب القرآن للدعاس:"(وَنُفِخَ) الواو حرف استئناف وماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو (فِي الصُّورِ) متعلقان بنفخ والجملة استئنافية لا محل لها (فَإِذا) الفاء حرف عطف إذا فجائية (هُمْ) مبتدأ (مِنَ الْأَجْداثِ) متعلقان بـــ(ينسلون) (إِلى رَبِّهِمْ) متعلقان بـــ(ينسلون) أيضا والجملة الأسمية معطوفة على ما قبلها (يَنْسِلُونَ) مضارع مرفوع وفاعله والجملة خبر المبتدأ"[4]، أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية فمأخوذة من الجوّ العام للآية يشاركه في ذلك آيات أخر جاء في الوسيط: "فأنت ترى أنّ الآيتين إشارة إلى هذه الآية والآية الأخرى ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ* يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[5]، قد اشتملتا على أبلغ الصور لأهوال يوم القيامة ولسرعة مجيء هذه الأحوال"

21-قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يس/80

نوع الخبر: جملة فعلية، فعلها مضارع.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الاسم الموصول الواقع بدلاً في سياق مقول القول الأمري.

جاء في الجدول في إعراب القرآن: "(الفاء) عاطفة...(منه) متعلّق بـــ(توقدون) وجملة: (أنتم منه توقدون) لا محلّ لها معطوفة على جملة الصلة مربوطة معها برابط السببيّة تابعة لها.. وجملة:(توقدون) في محلّ رفع خبر

[1] – التبيان في إعراب القرآن: 92/2

[2] – إعراب القرآن وبيانه: 295/7

[3] – التحرير والتنوير: 93/20

[4] – 36/23

[5] – سورة المعارج: 42-43

المبتدأ (أنتم)"[1]، أمّا في إعراب القرآن للدعاس: "(فَإِذا) الفاء حرف عطف وإذا فجائية (أَنْتُمْ) مبتدأ (مِنْهُ) متعلقان بـــ(توقدون) (تُوقِدُونَ) مضارع مرفوع وفاعله والجملة خبر"[2].

أمّا دلالة (إذا) الفجائية في الآية فمأخوذة من الجوّ العام للآية فمن عجيب قدرته أن يهتدي الإنسان الى هذا من الشجر الاخضر، وهو شجر المرخ والعفار إذا سحق أحدهما بالآخر اتقد منهما نار مع ما فيهما من رطوبة عالية وكمية الماء وفيرة؛ جاء في التحرير والتنوير:" والمفاجأة المستفادة مِن(فإذا أنتم منه تُوقِدُونَ) دالة على عجيب إلهام الله البشر لاستعمال الاقتداح بالشجر الأخضر واهتدائهم إلى خاصيته، والإيقاد: إشعال النار، يقال: أَوقد، ويقال: وَقَد بمعنى وجيء بالمسند فعلاً مضارعاً لإفادة تكرر ذلك واستمراره"[3]

22- قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الصافات/19

<u>نوع الخبر</u>: جملة فعلية، فعلها مضارع.

<u>السياق</u>: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الاسمية المؤكدة بـــ(إنّما)

جاء في إعراب القرآن وبيانه: "(فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ يَنْظُرُونَ) الفاء الفصيحة؛ لأنها واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فإنما وإنّما كافة ومكفوفة وهي مبتدأ وزجرة خبر وواحدة صفة... و(الفاء) عاطفة و(إذا) فجائية وهم مبتدأ وجملة (ينظرون) خبر، ومفعوله محذوف أي ينظرون ما يفعل بهم أو هي بمعنى ينظرون"[4].

ودلالة (إذا) على المفاجأة مأخوذ من الجو العام للنص للآية جاء في الظلال: "هكذا في ومضة خاطفة بمقدار ما تنبعث صيحة واحدة، تسمى (زجرة) للدلالة على لون من الشدة فيها، والعنف في توجيهها، والاستعلاء في مصدرها...(فإذا هم ينظرون)... فجأة وبلا تمهيد أو تحضير، وإذا هم يصيحون مبهوتين، ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ* هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[5]..."[6] أمّا في التحرير والتنوير: "و(إذا) للمفاجأة للتنبيه على سرعة حلول الحياة فيهم وقيامهم إثره و(قيام) جمع قائم"[7].

23- قال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ الملك/16

<u>نوع الخبر</u>: جملة فعلية، فعلها مضارع.

<u>السياق</u>: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الفعلية، التي فعلها فعل ماض المسبوقة بالاستفهام

جاء في إعراب القرآن: "(فَإِذا) الفاء حرف عطف، (إذا) الفجائية (هِيَ) مبتدأ (تَمُورُ) مضارع فاعله مستتر والجملة خبر والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها"[8]، أمّا في إعراب القرآن وبيانه:" والفاء عاطفة و(إذا) الفجائية...

---

[1] – الجدول في إعراب القرآن: 37/23

[2] – إعراب القرآن الكريم للدعاس: 3 /100

[3] – التحرير والتنوير: 82/12

[4] – إعراب القرآن وبيانه [256/8]

[5] – سورة الصافات/20-21

[6] – في ظلال القرآن الكريم: 181/6

[7] – التحرير والتنوير ابن عاشور: 384/12

[8] – إعراب القرآن الكريم دعاس: 3 /363

و(هي) مبتدأ وجملة (تمور) خبر..."[1]، ورد في المجتبى: "(مَنْ) موصول فاعل، والمصدر (أن يخسف) بدل اشتمال مِنْ (مَنْ)، والفاء في (فإذا) عاطفة، (إذا) فجائية، وجملة (فإذا هي تمور) معطوفة على جملة (يخسف)[2]، ويبدو أن حدث لبس للخراط في إعرابه لـــ(من) الموصولية فاعلاً، فـــ(مَنَ) في الآية حملها على المفعول به أولى، لاسيما أنه ذكر ذلك في المشكل حيث يقول: "(مَنْ) موصول مفعول به، والمصدر (أن يخسف) بدل اشتمال مِنْ (مَنْ)..."[3] أمّا دلالة (إذا) على المفاجأة مأخوذ من الجو العام لنص للآية؛ لاسيما أن معظم آراء المفسرين في تفسيرهم لكلمة تمور (تموج، تضطرب، تدور، تتحرك بسرعة) وهذا مما يوجد المفاجأة جاء في التفسير الميسر: "هل أمنتم- يا كفار(مكة) – الله الذي فوق السماء أن يخسف بكم الأرض، فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا؟.."[4]

ثالثاً: مجيء الخبر جملة اسمية في موضعٍ واحدٍ:

قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت /34

نوع الخبر: جملة اسمية.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جملة فعل الامر المسند للمخاطب

جاء في إعراب القرآن: "(فَإِذَا) الفاء الفصيحة و(إذا) الفجائية، (الَّذِي) مبتدأ، (بَيْنَكَ) متعلقان بخبر مقدم محذوف (وَبَيْنَهُ) معطوف على بينك (عَداوَةٌ) مبتدأ مؤخر، والجملة صلة، (كَأَنَّهُ) كأن واسمها، (وَلِيٌّ) خبرها،(حَمِيمٌ) صفة، والجملة الاسمية خبر (الذي)"[5]، أمّا في إعراب القرآن وبيانه: "﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ قالوا إنّ الفاء هي التعليلية الدالة على أن ما بعدها علة ما قبلها وأرى أن الفصيحة هنا أولى؛ لأنها جواب شرط مقدر، والتقدير أي: إذا دفعت بالتي هي أحسن فإذا الذي، و(إذا) للمفاجأة ..."[6] وهكذا في الجدول[7]، ودلالة (إذا) على المفاجأة مأخوذ من الجو العام لنص للآية؛ قال الطاهر بن عاشور: "(إذا) للمفاجأة وهي كناية عن سرعة ظهور أثر الدفع بالتي هي أحسن في انقلاب العدوّ صديقاً..."[8]

رابعاً: مجيء الخبر شبه جملة(جاراً ومجروراً) في موضعين:

1- قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ يونس/21

نوع الخبر: شبه جملة (الجار والمجرور) لهم .

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب(إذا) الشرطية.

---

[1] – اعراب القران وبيانه محي الدين درويش: 154/10

[2] – المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم، أ.د. أحمد الخراط: 264/1

[3] – مشكل إعراب القرآن، الخراط: 563

[4] – التفسير الميسر: 206/10

[5] – إعراب القرآن الكريم: دعاس3 /173

[6] – إعراب القرآن وبيانه: 8 /561

[7] – الجدول في إعراب القرآن: 24 /310

[8] – التحرير والتنوير: 293/24

قال العكبري: "قوله تعالى: (وإذا أذقنا) جواب (إذا) الاولى، (إذا) الثانية للمفاجأة والعامل في الثانية الاستقرار الذي في (لهم)، وقيل (إذا) الثانية زمانية أيضاً، والثانية وما بعدها جواب الأولى"[1]، أمّا في إعراب القرآن وبيانه فقد جاء قوله: "و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه وجملة (أذقنا) في محل جر بالإضافة إليها، وجوابها في (إذا) الثانية الفجائية، وانما جعلت جواباً لكونها بمعنى المفاجأة؛ كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكروه منهم وسارعوا اليه.. وجملة (مستهم) صفة لضراء، و(إذا) الفجائية و(لهم) خبر مقدم، و(مكر) مبتدأ مؤخر وفي آياتنا صفة لمكر.."[2]، وهكذا في إعراب القرآن الكريم للدعاس[3]، وفي المجتبى: "(إذا) ظرفية شرطية متعلقة بمضمون الجواب، والتقدير: أظهروا المكر إذا أذقناهم (إذا) فجائية، وجملة (إذا لهم مكر) جواب الشرط لا محل لها.."[4]، أمّا صاحب الجدول فقد اعتمد حرفية (إذا) في قوله: "(إذا) حرف فجائي(اللام) حرف جرّ، و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم، (مكر) مبتدأ مؤخّر مرفوع .. وجملة: (لهم مكر...) لا محلّ لها جواب شرط غير جازم"[5]، أمّا دلالة (إذا) على المفاجأة مأخوذ من الجو العام للنص للآية؛ فلقد أضفى المفسرون بعداً جمالياً لمعنى المفاجأة ومن أقوالهم:

1- قال الشوكاني: "و(إذا) الفجائية يستفاد منها السرعة، أي: أوقعوه على جهة الفجاءة والسرعة"[6]

2- قال أبو السعود في تفسيره: "﴿ وَإِذَا لَهُم مَّكْرٌ في آيَاتِنَا﴾ أي: بالطعن فيها وعدمِ الاعتداد بها والاحتيالِ في دفعها و(إذا) الأولى شرطيةٌ والثانيةُ جوابُها، كأنه قيل: فاجأوا وقوع المكرِ منهم وتنكيرُ مكرٌ للتفخيم ﴿قُلِ الله أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي: أعجلُ عقوبةً، أي: عذابُه أسرعُ وصولاً إليكم مما يأتي منكم في دفع الحقِّ، وتسميةُ العقوبةِ بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرِهم وجوداً أو ذكراً"[7]

3- قال الزمخشري في الكشاف: "و(إذا) الأولى للشرط ، والآخرة جوابها، وهي للمفاجأة، والمكر: إخفاء الكيد وطيّه، فإن قلت: ما وصفهم بسرعة المكر.. قلت: بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة، كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكر منهم، وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مسّ الضرّاء"[8]

4- قال البيضاوي: "﴿من بعد ضراء مستهم﴾ كقحط ومرض، ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ بالطعن فيها والاحتيال في دفعها، قيل: قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحياة فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله ﴿قل الله أسرع مكرا﴾ منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدهم وإنما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لـــ(إذا) الشرطية، والمكر: إخفاء الكيد"[9]

---

[1] – التبيان في إعراب القرآن: 669/2

[2] – 224/ 4

[3] – 21/ 2

[4] – المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم: 1 /376

[5] – الجدول في إعراب القرآن: 11 /100

[6] – فتح القدير للشوكاني: 293/2–294

[7] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكري أبو السعود: 3 /250

[8] – تفسير الكشاف: 2 /321

[9] – تفسير البيضاوي: 109/3

5- قال أبو حيان: "ولما كانت هذه الجملة كما قلنا تتضمن سرعة المكر منهم قيل: ﴿قل الله أسرع مكراً﴾ فجاءت أفعل التفضيل.. وقيل: أسرع هنا ليست للتفضيل، وحكاية ذلك عن أبي على هو مذهب"[1]

6- قال الطاهر بن عاشور:" فلذلك أدخل على جملة الجواب حرف (إذا) الفجائية؛ لأن حرف المفاجأة يدل على البِدار والإسراع بمضمون الجملة، فيُفيد مُفاد فاء التعقيب التي يؤتى بها الربط جواب الشرط بشرطه، فإذا جاء حرف المفاجأة أغنى عنها"[2]، ونخلص مما سبق إلى أنّ (اذا) الفجائية تفيد الإسراع والمبادرة وحدوث الشيء من غير ترقب أو تريث أو الدلالة الحالية.

2- قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ النازعات/14

نوع الخبر: شبه جملة (الجار والمجرور) بالساهرة.

السياق: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الاسمية المؤكدة بإنّما.

جاء في إعراب القرآن للدعاس: "(فَإِذا) الفاء حرف عطف و(إذا) فجائية و(هُمْ) مبتدأ و(بِالسَّاهِرَةِ) متعلقان بمحذوف خبر"[3]، قال الطاهر بن عاشور: "وفاء (فإذا هم بالساهرة) للتفريع على جملة (إنما هي زجرة واحدة) و(إذا) للمفاجأة، أي: الحصول دون تأخير فحصل تأكيد معنى التفريع الذي أفادته الفاء، وذلك يفيد عدم الترتب بين الزجرة والحصول في الساهرة ، والزَّجرة : المرَّة من الزجر"[4]، والساهرة: الأرض المستوية الخالية من النباتات، والمراد بها هنا: الأرض التي يحشر الله – تعالى – فيها الخلائق، قال القرطبي" قوله: ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: الخلائق أجمعون، ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي: على وجه الأرض، بعد أن كانوا في بطنها، قال الفراء: سميت بهذا الاسم؛ لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم، والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة ، بمعنى ذات سهر؛ لأنه يسهر فيها خوفا منها ، فوصفها بصفة ما فيها"[5].

ودلالة (إذا) على المفاجأة مأخوذ من الجو العام للنص للآية ، قال سيد طنطاوي في قوله تعالى :

﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾: "عبّر– سبحانه– عن قولهم هذا بالمضارع (يقولون) لاستحضار حالتهم الغريبة، حيث أنكروا ما قام الدليل على عدم إنكاره... وقد ساق– سبحانه– أقوالهم هذه بأسلوب الاستفهام، للإيذان بأنهم كانوا يقولون ما يقولون في شأن البعث على سبيل التهكم والتعجب ممن يحدثهم عنه ، كما هو شأن المستفهم عن شيء الذى لا يقصد معرفة الحقيقة، وإنما يقصد التعجيب والإنكار... وقد رد – سبحانه – عليهم رداً سريعاً حاسماً يخرس ألسنتهم فقال: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُم بالساهرة﴾..."[6]، قال الطاهر بن عاشور: "وفاء (فإذا هم بالساهرة) للتفريع على

[1] – تفسير البحر المحيط: 6 /280

[2] – التحرير والتنوير: 6 /456

[3] – 3: 417

[4] – التحرير والتنوير: 30 /72

[5] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 19 /199

[6] – الوسيط لسيد طنطاوي: ص 4427

جملة (إنما هي زجرة واحدة) و(إذا) للمفاجأة، أي: الحصول دون تأخير فحصل تأكيد معنى التفريع الذي أفادته الفاء..."[1]

الخلاصة:

بعد هذه الدراسة المستفيضة لـــ(إذا الفجائية) والتي لها دلالتها نوجز ما توصل إليه البحث فيما يأتي:

1- اختلاف النحاة حول (إذا) الفجائية على ثلاثة أقسام:

أ- القول بأنها ظرف مكان ب- القول بأنها ظرف زمان ج- القول بأنها حرف

وبعد مناقشة أقوال العلماء وخلافاتهم وتفنيدها رجحنا فيها حرفية (إذا) عملاً بالقاعدة الأصولية النحوية: اذا استوت مسألتان: أحدهما تحتاج الى تأويل وأخرى لا تحتاج الى تأويل فعدم التأويل أولى، وعليه فإذا الفجائية حرف مبني على السكون لا محلّ له من الأعراب.

2- من معاني (إذا) الفجائية: المفاجأة، المباغتة، المبادرة، إحداث الامر من غير ترقب أو تريث، أو تمهل، والمعاجلة، والاسراع ...الخ

3- عرض البحث توصيف بناء جملة (إذا) الفجائية فجاء على الانماط التالية:

أ- مجيء المبتدأ والخبر بعدها، وهذا النمط هو الاكثر استعمالاً وشيوعاً، وقد صرح به في القرآن الكريم.

ب- مجيء الاسم مرفوعاً(إذا) الفجائية والخبر منصوباً ضمن قراءة من القراءات وقد أشرنا إليها

ت- إيلاء (إذا) الفجائية المبتدأ فقط.

ث- مجيء الاسم بعد (إذا) الفجائية مشغولاً عنه ولم يصرح به في القرآن الكريم

4- بلغ عدد الآيات التي اشتملت عليها (إذا) الفجائية ستاً وأربعين آية موزعة على اثنتين وعشرين سورة، منها ثلاث وأربعون آية في العهد المكي، بينما الذي ورد في العهد المدني ثلاث آيات فقط، بمعنى أنّ أغلب الآيات التي اشتملت على (إذا) جاءت ضمن العهد المكي وهذا له دلالته فهو عصر تميّز بالاضطراب وعدم الاستقرار وكان مليئاً بالمفاجآت؛ فقد كانت الآيات والحقائق والدلائل القوية تقع على مرأى ومسمع من أهل الكفر، وكان المنتظر منهم أن يستسلموا لآيات الله وبراهينه؛ ولكنّ المدهش والاكثر مدعاة للتعجب أن تفاجأ بإصرارهم على أحجار لا تسمن ولا تغني من جوع.

5- جاء الخبر مصرحاً به في جميع الآيات التي اشتملت على (إذا) الفجائية، وقد تنوع بين وقوعه مفرداً وجملة وشبه جملة.

6- مجيء الخبر جملة فعلية في أربعة وعشرين موضعاً له دلالة بلاغية، وقد أشرنا إليها

7- السياقات التي جاءت معها (إذا) الفجائية متعددة منها:

أ- وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إذا) الشرطية في أحد عشر موضعاً

ب- وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (إن) الشرطية في موضعين

ت- وقوع (إذا) الفجائية في سياق جواب (لمّا) الحينية في ثمانية مواضع

[1] – التحرير والتنوير: 72/30

ث- وقوع (إذا) الفجائية في سياق غير الشرط في خمسة وعشرين موضعاً منها: وقوع (إذا) الفجائية في سياق الجملة الاسمية المؤكدة أو الجملة الفعلية سواء كان الفعل ماضياً الذي تعددت أنواعه وصوره، أو كان الفعل مضارعاً وهو على درجة أقلُّ من الاولى

ج- اقترنت الفاء بـــ(إذا) الفجائية في خمسة وعشرين موضعاً ، وكان هذا الاستعمال له دلالته، وقد فنّدنا الالتباس الذي عن هذا التركيب ونعني به الجمع بين الفاء و(إذا) الفجائية وكلاهما من روابط جملة جواب الشرط

ح- سبقت (إذا) الفجائية بحرف العطف (ثمّ) في موضع واحد بينما لم تسبق في المواضع الأخرى المتبقية

قائمة المصادر والمراجع:

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبو السعود إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ت
2. الأصمعيات: عبد الملك بن قريب الاصمعي تحقيق أحمد شاكر، وعبد السلام هارون دار المعارف مصر ط 5، د ت
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، 1415هـــ - 1995م
4. إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس وآخرون، دار المنير ودار الفارابي، دمشق، ط1، 1425هـــ
5. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سورية، ط4، 1415هـــ.
6. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويّين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري (ت:577هـــ)، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـــ- 2003م.
7. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت:685هـــ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـــ.
8. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـــ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، د.ط، 1420هـــ.
9. تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ط، د. ت.
10. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري (ت:616هـــ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ط، د . ت.
11. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ابن عاشور التونسي (ت:1393هـــ)، الدار التونسية، تونس، د. ط، 1984هـــ.
12. تفسير الشعراوي- الخواطر- لمحمد متولي الشعراوي ت: 1418ه،مطابع أخبار اليوم ،1997م.
13. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418هـــ.
14. التفسير الميسر: مجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير- تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

15.تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله النسفي (ت:710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى 1998 م.
16.الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي (ت:671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2 ، 1384هـ - 1964م.
17.الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي دار الرشيد مؤسسة الإيمان، دمشق، ط4، 1418هـ.
18.الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي(ت:749هـ)، تحقيق: د فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1413هـ - 1992م.
19.الحفاية بتوضيح الكفاية للبيتوشي، رسالة ماجستير إعداد الطالب: طه صالح أمين إشراف د. محسن إسماعيل محمد جامعة صلاح الدين، 1993م
20.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي تحقيق محمد الطريفي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1299هـ.
21.الخصائص، ابن جنّي (ت:392هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د. ت.
22.ديوان لبيد بن ربيعة العامري: تحقيق إحسان عباس، نشر وزارة الاعلام في الكويت، الكويت، ط2، 198م.
23.ديوان الهذليين طبعة دار الكتب، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1 ،1967
24.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي(ت:1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
25.دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، جامعة الأزهر، دار الحديث، القاهرة، د. ط، د. ت.
26.ديوان أوس بن حجر تحقيق محمد يوسف نجم ،دار بيروت للطباعة والنشر بط 1986م
27.ديوان المعاني، أبو هلال العسكري (ت:395هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، د. ط، 1352هـ.
28.ديوان الهذليين، أبو ذؤيب الهذلي، القسم الأول، دار الكتب، القاهرة، د. ط،1364هـ.
29.رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي تحقيق: محمد أحمد الخرَّاط، دار القلم، ط2، دمشق، 1985م.
30.زهر الآداب وثمر الالباب للقيرواني، حققه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه علي البجاوي دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه .
31.سر صناعة الإعراب، ابن جنّي(ت:392هـ) تحقيق مصطفى السقا ومحمد الزفزاف مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، 1954م.
32.شرح ألفية ابن معطٍ (ت:628هـ)، عز الدين أبو الفضل عبد العزيز بن جمعه بن زيد القوَّاس الموصلي تحقيق: د. علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض، ط1، 1405هـ

33.شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت:573هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1420 هـ- 1999م.
34.شرح الرّضيّ على كافية ابن الحاجب، إميل يعقوب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ط1، 2006م.
35.شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك (ت:672هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي سيد، دار الكتب العلمية، ط، 2001م.
36.شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي (ت:368ه)، تحقيق أحمد حسن مهدلي، وعلى سيد علي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.
37.شرح المفصّل، ابن يعيش (ت:643هـ)، عالم الكتب، بيروت، القاهرة، د. ط، د. ت
38.غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (ت:850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ.
39.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني، ت:1250هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1 1414هـ.
40.في ظلال القرآن في الكريم للسيد قطب، مطابع الشروق بيروت، د. ط، د.ت
41.الفرائد الجديدة (نظم الفريدة وشرحها المطالع السعيدة للسيوطي) للسيوطي، تحقيق عبد الكريم المدرس، دار إحياء التراث الاسلامي بغداد، 1977م.
42.الكتاب: سيبويه (ت:180هـ) تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
43.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزّمخشريّ، جارالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
44.لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (ت:741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
45.اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل(ت:775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
46.لسان العرب، ابن منظور(ت:711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ
47.المجتبى من مشكل إعراب القرآن أ. د. أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د. ط،1426هـ.
48.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي(ت:542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
49.مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، وزارة الارشاد الكويت 1962م.
50.مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب(ت:437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ.
51.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وآخرون، مجمع اللغة بالقاهرة، 2010م.

52.معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:1424هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.
53.المعجم المفصل في علوم العربية التنوجي والأسمر
54.المفضليّات، المفضّل الضبّي تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، وعبد السلام هارون، بيروت، ط6 ، د. ت
55.معاني القرآن، أبو زكريا الفراء(ت:207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، د. ت
56.المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ) تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، دار الشئون الثقافية، بغداد، 1982م.
57.من أسرار الجمل الاستئنافية دراسة لغوية قرآنية، أيمن عبد الرزاق الشوا، دار الغوثاني دمشق، ط1، 2006م.
58.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام (ت:761هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م.
59.الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي – صدر الدين الكنغرواي- (ت:1349هـ) تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.
60.النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط4، 1999م.
61.النكت في تفسير كتاب سيبويه: للأعلم الشنتمري (ت:476هـ) تحقيق زهير عبد المحسن سلطان منشورات معهد المخطوطات العربية الكويت، ط1، 1987م.
62.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(ت: 885ه) دار الكتاب الاسلامي، القاهرة.
63.همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للسيوطي تحقيق عبدالعال سالم مكرم عالم الكتب، 2001م.
64.الوسيط لسيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الفجالة، ط1، 1998م.